الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الآداب و الفنون
قسم الأدب العربي

الموضوع:

المدينة العربية في كتابات الرحالة الفرنسيين
-تلمسان عند بول بورد أنموذجا-

مذكرة تخرج مقدمة استكمالا لنيل درجة الماستر تخصص دراسات أدبية مقارنة

إعداد الطالب:
*فعفاع أحمد

إشراف الدكتورة:
*نجاة بوزيد

السنة الجامعية 1436-1437
2015-2016

ا لإ هـد ا ء

إلى من ربياني على الفضيلة و علماني كل طهر ونبالة

إلى رمز التضحية و المثابرة و الكفاح إلى نبع الحنان والعطف

والدي الكريمين راجيا أن يكون هذا العمل ثمرة طيبة لغرسهما

إلى كل العائلة و الأهل

إلى كل الأصدقاء و الزملاء

إلى أُسرتَي التربية و البحث العلمي

إلى مدينة تلمسان

شكـر وتـقـديـر

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، و الصلاة و السلام على معلم البشر، و على آله و صحبه أجمعين.

انطلاقا من قوله صلى الله عليه و سلم: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"

أتقدم بالشكر إلى من سدد خطاي و أنار طريقي، إلى واهبي الحياة، إلى ربي، رب العزة جل جلاله.

كما أتوجه بالشكر والتقدير والاحترام إلى كل من أمدني بيد العون والمساعدة في إنجاز هذه الرسالة و أخص بالذكر:

الأستاذة المشرفة على البحث : بوزيد نجاة التي أعانتني بنصائحها المفيدة، و التي لولاها لما تمكنت من إخراج هذا البحث في مثل هذه الصّورة فشكرا لك سيدتي وتحية تقدير لكل الجهد التي بذلته في تأطير الأجيال و بشراك قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيك: "إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير"

كما أتقدم بالشكر الخالص للأستاذ بوخرص و الأستاذ حسيني مصطفى والأستاذة علي فاطمة على مساعدتهم لي في الترجمة.

و شكرا

** المقدمة **

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

لقد ارتبطت حياة الإنسان ارتباطا وثيقا بالتنقل الدائم، والسعي في أرجاء الأرض طلبا للرزق ثم للمعرفة، فأصبحت عادة التّرحال متأصلة فيه حتى قيل "ولد الإنسان راحلا"،ويعد أدب الرحلة لونا من الألوان الأدبية التي ينقل فيه الرحالة العديد من العناصر، وذلك من خلال ما يصادفه من عمران وعادات وتقاليد ومعالم أثرية لتلك المنطقة التي زارها، واصفا بذلك انطباعات أفراد المجتمع، وأساليب عيشهم وكل ماله علاقة بهم، ثم إن الرحلة إلى البلاد الأجنبية كانت على الدوام موضوعا مثيرا إذ أن الرحالة يقبل على هذه البلاد فيكشف فيها عن مغامراته ومفاجآت قام بها أو صادفها، مما يجعلها تأخذ حيزا من الاهتمام.

وتعتبر الجزائر من البلدان التي نالت اهتمام العديد من الرحالة الأجانب خصوصا الفرنسيين خلال القرن 19م، لما كان لهذه الرحلات من فائدة جنتها السلطات الفرنسية عند احتلالها للجزائر حيث مكثوا بها لفترة ناهزت 132 سنة، وقد كانت هذه الرحلات الأساس الجغرافي والمنبع الأول لفهم ذهنيات أفراد هذا المجتمع، ورغبة مني في اكتشاف ما قام بتدوينه هؤلاء الرحالة عن الجزائر وخصوصا مدينة تلمسان منبع الحضارة عزمت بعد التوكل على الله أن يكون موضوع بحثي في رسالة الماستر هو ما كتبه الرحالة الفرنسي بول بورد عن مدينة تلمسان وجاء البحث تحت عنوان تلمسان عند الرحالة الفرنسيين بول بورد أنموذجا وهذا الموضوع له من الأهمية ما جعلنا نسعى إلى:

1- إبراز الأهمية التي تحتلها مدينة تلمسان في داخل الجزائر والوطن العربي حيث كانت ولازالت تعتبر مركزا ومنبعا للحضارات
2- إبراز المكانة التي احتلتها تلمسان في أدب الرحلة الأجنبي والصورة التي رسمت عند الرحالة بول بورد عن مدينة تلمسان والتي نقلها عبر كتابه إلى مجتمعه.

و لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة الإجابة على الإشكالية التالية: ما موقع وصورة تلمسان في أدب الرحلة الفرنسي عموما وعند الرحالة بول بورد خصوصا؟ وللإجابة على هذه الإشكالية الكبرى نجد أنفسنا أمام عديد التساؤلات والتي يمكن حصرها فيما يلي:

- ما أدب الرحلة وما أساسياته؟
- ما هي صورة المدينة العربية عموما و الجزائر خصوصا في أدب الرحلة الفرنسي؟
- كيف رأى بول بورد مدينة تلمسان؟

أما الدوافع التي جعلتنا نتناول هذا الموضوع فتراوحت بين الذاتية والموضوعية أما الذاتية فتمثلت في: حبي لمدينة تلمسان وتعلقي بها، مع محاولتي معرفة كل ما له علاقة بها، والموضوعية أردت بها تسليط الضوء على هذا الموضوع لأنه لم يحظ بالاهتمام من قبل الباحثين، حيث ركز معظمهم على الجزائر ككل واحد .

وخضنا في هذا البحث معتمدين على منهج تاريخي وصفي موزع حسب ما تتطلبه وتفرضه طبيعة البحث، فالمتتبع لهذا الأخير يلاحظ جليا المنهج التاريخي سواء في تعريف أدب الرحلة وتطوره ،و في ذكر صورة المدينة العربية والجزائرية، وخلال التعريف بمدينة تلمسان، أما الوصفي فتجلى أكثر خلال عرضنا لما قام بتدوينه بول بورد عن مدينة تلمسان.

ولإخراج هذا البحث في حلة مميزة إقترحنا خطة كانت بدايتها بمدخل تحت عنوان الإنسان والرحلات تناولنا فيه علاقة الإنسان بالرحلات منذ القدم، كما عرفنا الرحلة وذكرنا موقعها في التراث الجغرافي، ثم ذكرنا دواعي تدوين الرحلة وهذا ما فتح لنا المجال للفصل الأول الذي جاء بعنوان أدب الرحلة الدوافع والقيم، تطرقنا فيه: تعريف أدب الرحلة ونشأته، دوافعه، الأهمية المصدرية لكتب الرحلة، أدبية الرحلة، أنواع الرحلات، مميزات أدب الرحلة، قيمة وأهمية أدب الرحلة، مكونات الأسلوب في أدب الرحلة، أما الفصل الثاني فكان بعنوان: تلمسان وكتاب عبر الجزائر، وقد حاولنا فيه رسم صورة المدينة العربية والجزائرية عند بعض الرحالة الفرنسيين، ثم تدرجنا

إلى تعريف تلمسان والتذكير بتاريخها وصورتها عند بعض الرحالة العرب والغرب، ثم عرفنا بالكاتب ورحلته، وأعطينا ملامح مدينة تلمسان من خلال كتاب عبر الجزائر، وكأي بحث كانت النهاية بخاتمة حاولنا فيها جمع أهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث.

و ما كان لعملنا هذا أن ينجز ويخرج إلى الوجود إلا من خلال اعتمادنا على مجموعة من المصادر والمراجع حيث كانت عونا لنا لإتمامه ونذكر منها:

- الرحلات لشوقي ضيف
- أدب الرحلة في التراث العربي لفؤاد قنديل
- معجم البلدان لياقوت الحموي
- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان لمحمد بن رمضان شاوش
- تلمسان عبر العصور لمحمد الطمار
- تلمسان تحليل لغوي وتاريخي للأسماء التي دعيت بها حاضرة المغرب الأوسط لعبد الوهاب بن منصور
- A travers l’Algérie Paul bourde

وكأي بحث لم يخل بحثنا هذا من بعض الصعوبات، والتي يمكن إدراجها أساسا في مشكل الترجمة الذي يعود إلى ضعفنا في امتلاك لغة ثانية خصوصا اللغة الفرنسية، بالإضافة إلى قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، حيث أن جلها كانت له إطلالة مختصرة حوله–تلمسان في أدب الرحلة الفرنسي-، ونجد من الذين أشاروا إلى هذا الموضوع: عبد الحفيظ بورايو في مذكرته التي كانت بعنوان مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، كذلك مداخلة الأستاذة سميرة أنساعد التي كانت بعنوان صورة الأنديجان من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر خلال مؤتمر الثورة التحريرية بجامعة سكيكدة، ثم مداخلة الدكتور بوعلام بلقاسمي والتي كانت بعنوان تلمسان في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن 19م خلال الملتقى الدولي بعنوان تاريخ حاضرة تلمسان ونواحيها.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتوجه إلى المولى عز وجل بالدعاء أن أكون قد وفقت فيما قدمت في هذا البحث، كما أتقدم بالشكر إلى كل من مدّ لي يد المساعدة من قريب أو بعيد ولم يبخل علي بمعلوماته وأخص بالذكر الأستاذة الدكتورة المشرفة لما لها من فضل التوجيه والإشراف ومتابعتها لهذا البحث خطوة خطوة، فلولا ملاحظاتها لما ظهر البحث في ثوبه هذا والله الموفق.

** المدخل **

الإنسان و الرحلات

عرف الإنسان قديما وحديثا الحركة و الانتقال، فهو منذ وجوده على سطح الأرض يُعمل فكره في كل ما يحيط به من ظاهرات طبيعية ، و حينما أدرك تنوع الصور، وتباين الظاهرات بدرجات متفاوتة من مكان إلى آخر ، نشطت لديه غريزة حب الاستطلاع ونمت لديه غريزة حب المعرفة[1]، وساعده في ذلك العقل و الجسم الذي أمده الله بهما، فهما يعيناه في الحركة و الانتقال من موضع إلى آخر بحثا عن طعامه و شرابه و هربا من الطبيعة القاسية.

فالحركة هي روح الحياة و سمة أساسية في التركيب الجسدي و النفسي للإنسان، فهي من أسباب إيجاد الهدف و تحقيق الغاية، وتشير كثير من الدراسات في التاريخ إلى أن الإنسان لم يتوقف عن الحركة و التنقل، حتى بعد أن تعلم الزراعة و عرف الاستقرار وأسس و بنى المجتمعات[2].

لقد ظل الإنسان على مدى العصور يتطلع بعينه إلى الآفاق البعيدة، فهو في شوق دائم إلى معرفة موضع الشمس الذي منه تشرق و إليه تغرب، فهو دائما في حيرة و لا يكف عن السؤال...كيف و لماذا؟ ومع تجدد الحاجات و الرغبة في الانتقال اهتدى الإنسان إلى ما يسمى بالرحلة.

و أما الرحلة من حيث الدلالة شقان: لغوي و اصطلاحي ، فمن الجانب اللغوي تعني لفظة"رحلة":"السير، التّرحال.الجهة التي يقصدها الرجل ، وقيل:السفرة الواحدة "[3] يقال : مضى القوم من المكان : أي عبروا و انتقلوا ، و كلمة رحلة "مصدر اشتُق من الفعل رَحَلَ، ومنه الارتحال بضم الوجه الذي تقصده السفرية الواحدة ، يقال راحله، أي: عاونه على راحلته أي إسترحله ، سأله أن يرحل له ، ومنها هذا رحلُ الرجل، أي منزله و مأواه "[4].

---

[1]- محمد صبحي عبد الحكيم، دراسات في الجغرافية العامة، دار النهضة العربية، مطبعة جامعة القاهرة و الكتاب الجامعي، د.ط، 1980، ص3.

[2]- ينظر، فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، الدار العربية للكتاب القاهرة، د.ط، د.ت، ص10.

[3]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب م11،مادة رحل، دار صادر، بيروت، ط1، 1990، ص279.

[4]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: المحيط ج3، دار الجيل ، بيروت، ط3 ، د.ت ، ص 309.

و ذكر أصحاب المعجم الوسيط عدة معان تحت مادة رحل حيث قالوا: "رحل عن المكان رحلا و رحيلا و ترحالا و رحلة سار و مضى و البعير رحلا و رحلة جعل عليه الرحل فهو مرحول و رحيل و علاه و ركبه و يقال رحل فلان بمكروه و رحله بسيفه علاه به و في الحديث (لتكفن عن شتمه أو لأرحلنّك بسيفي) و له نفسه صبر على أذاه، (أرحل) فلان كثرت رواحله فهو مرحل و الإبل سمنت بعد هزال فأطاقت الرحلة ز فلانا جعله يرحل و الإبل راضها حتى صارت رواحل و فلانا أعطاه راحلة، (الرحال) صانع الرحل، (الرحال) العرب الذين لا يستقرون في مكان و يحلون بماشيتهم حيث يسقط الغيث و ينبت المرعى، (الرحالة) الكثير الرحلة (و التاء للمبالغة) ، (الرحل) العرب الرحل الرحال، (الرحل) ما يوضع على ظهر البعير للركوب و كل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع وغيره و مسكن الإنسان و ما يستصحبه من الأثاث، و في الحديث (إذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال) ج أرحل و رحال و يقال حط فلان رحله و ألقى رحله أقام (الرحلة)، وفي التنزيل العزيز رحلة الشتاء و الصيف، (الرحلة) ما يرتحل إليه يقال الكعبة رحلة المسلمين و أنتم رحلتي و عالم رحلة يرتحل إليه من الآفاق و يعبر ذو رحلة قوة على السير،(الرحول) كثير الارتحال و الراحلة"[1].

و جاءت الرحلة أيضا بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان "الرحلة الارتحال. و الرحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه و تريده، تقول أنت رحلتي أي الذي أرتحل إليه"، كما تطلق الرحلة أيضا على السفرة الواحدة "الرحلة السفرة الواحدة"[2].

و عليه إنّ لفظ رحلة له عدة معاني، فقد جاءت " بمعنى السير و الانتقال و الوجهة أو المقصد الذي يراد السفر إليه. و بمعنى دنو المكان المراد الوصول إليه. أو اقتراب وقت

[1]- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية مصر، ط4، 2004م، ص334-ص335.
[2]- أحمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير ج1، دار الكتب العلمية بيروت، د.ط، 1398ه، ص264.

الرحيل. و لهذه المعاني كلها كان لفظ رحلة يطلق على من انتقل من مكان لآخر. و منه أخذ لفظ رحال: وهو الشخص المتنقل من مكان لآخر "[1].

وتطلق كذلك على " الدابة إذا سمنت: أرحلت الدابة بعد هُزال فأطاقت الرحلة"[2] لقول الشاعر:

لِحَانَ وَمُصَابٍ غَاديَةً تجارها   نَشَرَت عَلَيه بُرُودَهَا و رِحَالَهَا[3]

وإذا أردنا التدقيق أكثر في المنظومة اللغوية للفظة ، نجد بأن مدلولها ومرادفها لفظة "سفر" والتي تعني : قطع الأسفار منها : مسافر، القوة على السفر واتخاذ أسبابه[4] وخير مثال على ذلك قول زهير بن أبي سلمى يصف ناقته:

كَخَنْسَاءٍ سَفْعَاءِ المَلَاطِمِ حُرَة   مُسَافِرَة مَزْؤُودَة أَمْ فَرْقَدِ[5]

يتجلى لنا من خلال ما سبق ذكره : أن المعاجم على اختلافها بقدر وقوفها على المعنى اللغوي الذي تؤديه ، إلا أنها لم تغفل الجانب الاجتماعي منها، والذي نعني به ذكر الإبل ، ويتبين من خلال احتفاء الشعراء بها باعتبارها أهم عنصر شكل طريق الرحلة، نظرا لكثرة ورودها.

لقد حظيت هذه الألفاظ بمقومات دلالية ، مكنتها من تجاوز الحقل الدلالي الأصلي إلى حقل دلالي آخر ، ومردّ ذلك هو الحضور المادي لهذا الحيوان ، في مخيلة الإنسان العربي منذ الجاهلية ، بهيئاته و رمزياته سواء كان هذا الحضور في الواقع أو في المخيلة ، وربما يرجع ذلك إلى التاريخ المثقل بالمعاني الرمزية، أضف إلى أن هذه المفردات في جل

---

[1]- ياسمين شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري نماذج من رحلات القرن العشرين ، مذكرة ماجستير ، 2013/2012 ، ص23 نقلا عن عواطف محمد يوسف نواب ، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنيين السابع و الثامن الهجريين : دراسة تحليلية مقارنة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، د.ط ، 1996 ، ص40.

[2]- أبو الحسن أحمد ابن فارس الرازي، مقاييس اللغة تح عبد السلام بن هارون ،دار الجيل ، بيروت ،د.ط ،د.ت ،ص 497.

[3]- ميمون بن قيس بن جندل الأعشى، الديوان دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت، ص 137.

[4]- ابن منظور: لسان العرب م4، مادة رحل، ص 368 /369.

[5]- زهير بن أبي سلمى: الديوان ، دار بيروت للطباعة والنشر ، لبنان ، د.ط ، 1982 ، ص 21.

معانيها المختلفة، تنصب حول السير والانتقال والوجهة أي : المقصد المراد السفر ، الارتحال إليه، أو اقتراب وقت الرحيل، فالشخص الذي يقوم بالرحلة هو بطبيعة الحال ، سيترك وطنه الأصلي عن إكراه أو رغبة ، متوجها إلى أرض غريبة عنه أو لم تطأها قدماه ، وهنا يكمن السر في الترحال ، كما تبدو كذلك شمولية إطلاق اللفظتين على سبيل الإفراد(رحلة/سفرة).

فمشتقات مادة "رحل" كثيرة و متعددة. و تدل على الحركة، لأن الرحلة في الحقيقة ما هي إلا "حركة و انتقال"[1] تبعث في الإنسان الحيوية و النشاط و تعود عليه بمنافع عدة في مختلف مجالات حياته، على عكس السكون الذي يبعث في صاحبه الجمود و الخمول.

أما من الجانب الاصطلاحي، فقد تعددت مفاهيم الرحلة، و ما تعارف عليه جمهور أهل الأدب، أنها ذات معنى واحد فقد عرفها أبو حامد الغزالي بقوله :"إنّها نوع مخالطة مع زيادة تعب و مشقة "[2]، فبعد التعب و المشقة يكون التواصل مع الآخر ،لأنه لا تواصل مع الآخر إن لم تكن هناك حركة و انتقال و جهد.

ويعرفها المكناسي بقوله هي:"لون من التأليف الذي يجمع بين الدافع العميق و التأمل الدقيق في رصد المشاهدات و الظواهر بأناة دقيقة و البحث في الأسباب و النتائج ببصيرة واعية"[3].

ويذكر محمد الفاسي أن أساس هذا النوع هو "شخص المؤلف و إينيته ووصف ما يعرض له بسفره ، وذكر الإحساسات التي يشعر بها أمام المناطق التي يمر بها، مع اطلاعنا على أحوال البلاد التي يزورها، و على عوائد أهلها و أخلاقهم و أفكارهم، و هو

---

[1]- ياسمين شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري نماذج من رحلات القرن العشرين ، ص 23.

[2]- محمد السنوسي،الرحلة الحجازية ، تحقيق علي الشنوفي،الشركة التونسية للتوزيع ،د.ط ، 1976 ، ج1 ، ص45.

[3]- محمد بن عثمان المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، تحقيق محمد علي الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، د.ط، 1965 ، ص1.

في هذا يعبر عن نفسه و عن عواطفه، و وجهة نظره الخاصة في كل مسألة"[1]،فالرّحالة بالإضافة إلى ملاحظاته، يبدي انطباعاته الشخصية و يصدر أحكاما على ما سمعه وشاهده.

أما بطرس البستاني فيعرفها بأنها :" انتقال واحد – أو جماعة – من مكان إلى مكان آخر ، لمقاصد مختلفة و أسباب متعددة"[2]، فالرحلة لا بد لها من غرض ما ، قد يكون غرضا شخصيا يرجى منه تحقيق منفعة ذاتية ، و قد يكون عاما يهدف إلى تحقيق منفعة الأمة جمعاء، " و يقول عبد الرحمن المودن أن"الرحلة كتابة ملتبسة سواء على مستوى الهوية الأجناسية،أو على مستوى محاورتها في سياق نظرية الأدب لأجناس أدبية أو غير أدبية"[3]

في حين يعرفها صلاح الدين الشامي بقوله :" أن الرحلة تظل إنجازا أو فعلا أو مباشرة لما يعنيه ، أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة،أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه،والمكان الذي تنتهي إليه"[4].

فالرحلة جنس أدبي مثل بقية الأجناس الأدبية الأخرى، لكنه انفرد عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى باعتماده الوصف و المشاهدة، اللذان يعتبران اللبنة الأساسية لمسار الرحلة.

فالرحلة تجمع بين معنيين : المعنى الأول هو الانتقال و الحركة المتعارف عليها ، أما المعنى الثاني فهو : كتابة و خطاب ، فالرحلة كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره و ما شاهده و عاشه مازجا ذلك بانطباعاته الشخصية حول المرتحل إليهم ، ويجب أن يكون الرحالة ذا مستوى ثقافي ، يؤهله لنقل أحداث سفره إلى كتابة، أما الخطاب فهو يواكب انتقال الرحالة في أماكن متعددة و مختلفة ، واصفا إياها جغرافيا عمرانيا و اجتماعيا وبشريا ، و ذاكرا من التقى من رجالات العلم و الأدب وما دار في مجالسهم من مناقشات،

[1]- حسين فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، ع138 الكويت، يونيو 1989، ص13.
[2]- بطرس البستاني، دائرة المعارف مج8، مطبعة المعارف ، بيروت ، دط ، 1884 ، ص 564.
[3]- عبد الرحيم المودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، دار السويدي للنشر و التوزيع، ط1، 2006، ص23.
[4]- صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي و الدراسة الميدانية، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط ، 1999 ، ص11.

إضافة إلى ذكر الفوائد العلمية و الدينية و التاريخية و الأدبية ...، وكل ذلك يسوقه الرّحالة بأساليب مختلفة ليكسب الخطاب الرحلي صبغة أدبية و فنية .

والرحلة أعمّ و أشمل من السفر ، لأن في السفر تُقطع مسافات معينة ، أما الرحلة فتكون انتقال من مكان لآخر تُقطع فيه مسافات كبيرة ، فالرحلة تعني : "الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين ، ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا ، أما الحركة خلال الرحلة بقطع مسافات فهي السفر ، و جمعه : أسفار"[1].

و السفر عند الغزالي صاحب الإحياء، "وسيلة إلى الخلاص من مهروب عنه، أو الوصول إلى مطلوب و مرغوب فيه"[2]. و الغزالي في معرض حديثه عن السفر، فرق بين نوعين منه، فالسفر عنده "سفران: سفر بظاهر البدن عن المستقر و الوطن إلى الصحاري و الفلوات، و سفر بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات و الأرض، وإشراف السفرين الباطن"[3]، و يضيف عن الرحلة فيقول: " بأنها نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة"[4]، فجعل الرحلة عبارة عن احتكاك بالآخر بعد الجهد و التعب الناتجان عن الانتقال على الرغم من أنه لم يذكر ذلك. لأنه لابد أن تكون في الرحلة انتقال و حركة حتى تكون هناك مخالطة.ويمكن تمثيل الرحلة بالرسم البياني التالي[5] :

الانطلاق ↓ من ← الرحلة ← إلى ↑ الوصول

الانطلاق الوصول
↓ ↓
من ⟵ الرحلة ⟵ إلى
↓
حالة نفسية+ مشقة+ مظاهر طبيعية + لقاء مع الآخر + تأثير و تأثر

---

[1]- عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي،الرحلة في الإسلام، أنواعها و آدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1992،1، ص5.

[2]-أبو حامد أحمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين ج$_2$ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 1986 ص181.

[3]-أبو حامد أحمد بن محمد الغزالي، المرجع نفسه،ص181.

[4]- المرجع نفسه، ص 273.

[5]-الطاهر حسيني، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناؤها الفني أنواعها خصائصها ، أطروحة دكتوراه ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة-الجزائر- ، 2014/2013 ، ص9.

بملاحظة التعريفات السابقة ، نجدها كلها تُجمِعُ على أن الرحلة في جوهرها حركة ، وهذه الحركة ذات هدف ، و إلا كانت سَفَهاً قد يتحقق و قد لا يتحقق، و سيتم في الحالتين كلتيهما اكتساب خبرات علمية و فكرية ناجمة عن المخالطة، و بذلك يتم التقابل بين الرحلة في اللغة الاصطلاح حيث يجمعهما أنهما حركة[1].

وبالرجوع إلى القرآن نجد أن لفظ "رحلة" لم يصرح به إلا مرة واحدة في سورة قريش حيث يقول تعالى:"لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤"[2] وقد تحدثت السورة كلها عن الرحلة، وهي رحلة قريش التجارية، فكما هو معلوم أن أهل مكة المكرمة اتجهت أنظارهم إلى التجارة بحكم موقع مكة المكرمة، كما قال تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام"رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧"[3].

على ضوء ذلك تمتعت مكة بمكانة عظيمة، و حجّ الناس إليها استجابة لدعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، كذلك كانت الرحلات إلى أسواق العرب التي أقاموها في نواح متعددة من جزيرتهم و اشتهر منها سوق عكاظ و ذي مجاز و دومة الجندل و غيرها. كما استغلت هذه الأسواق للتجارة و ترويج الأفكار و الديانات، فقد عرض الرسول صلى الله عيه و سلم نفسه على العرب في هذه المواسم، و دعاهم إلى الإسلام و الدفاع عنه[4]. و في الحديث عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعرض نفسه على

[1]-ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، دار النشر للجامعات مصر، د.ط ، د.ت، نقلا عن إنجيل بطرس، الرحلة في الأدب الإنجليزي، ص25.

[2]-سورة قريش، الآيات(1-4).

[3]- سورة إبراهيم، الآية 37.

[4] أبو محمد عبد المالك ابن هشام، السيرة النبوية ج2، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع الرياض، د.ط،د.ت، ص245.

الناس في المواسم فيقول: "ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي"[1].

كما وردت آيات أخرى عن الرحلة للدلالة على أمور مختلفة، فقد تكون للفرار بالدين كما في قوله تعالى:"۞ مَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ "[2].

كما قد تكون لطلب العلم و أشهر رحلة في هذا المجال رحلة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام ليتعلم منه يقول تعالى: "فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا

[1]-علاء الدين مغلطاي ابن قليج بن عبد الله الحنفي، سنن ابن ماجة ج1، مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة،د.ط، 1999، ص73.
[2]-سورة النساء، الآية 100.

تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾ "[1].

وقد تكون للحج كما في قوله تعالى: "وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾"[2] فالحج قديم منذ عهد سيدنا ابراهيم عليه السلام ولكن بمجيء الاسلام صار لزاما مرة في العمر لقوله تعالى: "فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ "[3]، كما كانت للتجارة للتجارة بعد أن وجههم الله عز وجل إلى نوع آخر من التجارة غير المتعارف عليه عندهم أنذاك و هي التجارة البحرية

[1]- سورة الكهف، الآيات (65-82).
[2]- سورة الحج، الآية 27.
[3]- سورة آل عمران، الآية 97.

لقوله تعالى: "رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾"[1]

و ساعدت الرحلة الإنسان على اكتشاف موطنه الأصلي وهو الأرض، كما أدت بهذا الإنسان أن يدرك مدى انتشاره في بقاعها، و أن البشر قد سلكوا مناحي مختلفة و تعددت ألسنتهم و تنوعت طرائق حياتهم، ولقد كان بين الرحالة رجال علم و دين و كذلك طوافون من هواة السفر و الترحال و آخرون استهوتهم المغامرة و دفعتهم المخاطرة إلى الكشف النقاب عن المجهول من الأرض و الناس....

وقد اتصف أغلبية الرحالة بدقة الملاحظة، و التقصي في تسجيل ملاحظاتهم ومشاهداتهم بأمانة و صدق، كما حرص معظمهم على التفرقة بين المشاهدة و الرواية عند تسجيل المعلومات[2].

هذا و يبدو أن الرحلات سواء كانت برية تدب في دروب وعرة على الأرض أو كانت بحرية تخاطر في البحر المخيف قد أطلقت العنان للحس الجغرافي، وهو يرقب و يلاحظ مسيرة هذه الرحلات بل قد برهنت النتائج أن الحس الجغرافي قد فجر قدرات و طاقات الاجتهاد الجغرافي و شحذ في التدبر و التذكير الجغرافي، وفي اعتقاد معظم الباحثين أن الواقع الحضاري قد نمّى هذا الحس الجغرافي و أحسن توجيهه و استخدامه لحساب الاستشعار الجغرافي المفيد[3].

و يمكن القول أن كل رحلة حققت الهدف لحساب الإنسان و نبض الحياة المستمر على الأرض، و إن الإنسان الذي كرس اجتهاده لإنجاز الرحلة لم يفرط أبدا في جني ثمار الرحلة و الانتفاع بها، وكذلك اجتهد الإنسان في ابتكار الوسيلة التي يستخدمها في الرحلة لكي

---

[1]- سورة الإسراء، الآية 66.
[2]-حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، مطبعة الرسالة الكويت، د.ط، 1989، ص15-ص16.
[3]- صلاح الدين الشامي، الفكر الجغرافي سيرة و مسيرة، دار المعارف للنشر الإسكندرية، د.ط، 1980، ص79.

يوسع دائرة انتفاعه بالرحلة، ولكي يؤَمِن سرعة الرحلة في الذهاب و الإياب لحساب حركة الحياة و استجابة لمصالحها[1].

و الرحلات تأتي في كل الأوقات لكي تحقق أهداف أساسية ذاتية من جهة، وتعبر عن منطق الانفتاح على العالم من جهة ثانية[2].

إذا فالبحث في المجهول هدف رافق الإنسان منذ أن وجد على سطح الأرض حتى يومنا هذا، فهو دائما يبحث عن المجهول وقد يكون مدفوعا وراءه بغريزة حب الاستطلاع، التي تعد من الغرائز المهمة في تكوين و توجيه السلوك البشري، الذي يعتمد بصورة أساسية على معرفة البيئة المحيطة بالإنسان، فكلما زادت معرفة الإنسان ببيئته تمكن من السيطرة عليها، وبذلك فهو يتفاعل ضمن الإطار الجغرافي المتمثل في البحث عن العلاقة بين الإنسان و البيئة[3].

بعد معرفتنا لمفهومي الرحلة اللغوي و الاصطلاحي و علاقتها بالتراث الجغرافي نجد أنفسنا أمام بعض الأسئلة المتعلقة بالدوافع التي تجعل الرحالة يقوم بتدوين رحلته، و منها: بعد أن يقوم الرحالة برحلته ما أهمية تدوينه لهذه الرحلة ؟، وما الدافع وراء سرده لأحداث رحلته على القارئ؟.

تجيبنا سميرة أنساعد على هذه الأسئلة في النقاط التالية:

1-تلبية رغبة الآخرين من حكام، و أصدقاء أو أقرباء، بتدوين الرحلة، و إمتاعهم بالإطلاع على ما أثار إعجاب الرحالة و دهشته، فرحه و حزنه.

2- تقديم معلومات ثرية للقارئ عن المعارف و العلوم، و التعريف بالأعلام و مؤلفاتهم.

3- التعريف بالبلدان و الممالك التي زارها ، وتحديد الطرق و المسالك ، وتبيين مواقع الخطر و المشقة حتى يستفيد الآخرون منها.

---

[1]-حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص21.
[2]- صلاح الدين الشامي، الفكر الجغرافي سيرة و مسيرة، ص254.
[3]-عبد الخليل فضيل و إبراهيم المشهداني، الفكر الجغرافي، دار الحكمة للطباعة و النشر، د.ط، 1990، ص202.

4- سرد أخبار الأمم و الأقوام –ماضيها وحاضرها- من عادات و تقاليد وطقوس.

5-التأريخ للأحداث المتنوعة و تقديم معلومات سياسية و اقتصادية ... عن البلدان المقصودة في الزيارة.

6- رغبة المشاركة في أدب الرحلات عند الرحالة و تدوين أخبار رحلته على منوال ما دونه السابقون من أمثال : المسعودي و ابن بطوطة.

7- الدعوة إلى تغيير الجو و الاحتكاك بالآخر و الانفتاح عليه[1]

و قد تكون لتغيير واقع الوطن نظرا للجمود الذي يعيشه بمحاولة نقل مظاهر النهضة و التطور شرط لموافقتها مقومات و مبادئ وطنه.

[1]- سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري في العهد العثماني ،مجلة التراث العربي : مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،س24 ، آذار 2005، ص 34-ص36.

** الفصل الأول **

أدب الرحلات:الدوافع و القيم

1-تعريف أدب الرحلة.

2- نشأة أدب الرحلة الفرنسي

3-دوافع أدب الرحلة

4-الأهمية المصدرية لكتب الرحلة

5-أدبية الرحلة

6-أقسام أدب الرحلة

7-مميزات أدب الرحلة

8-قيمة و أهمية أدب الرحلة

9-مكونات الأسلوب في أدب الرحلة

** المبحث الأول **

1- تعريف أدب الرحلة:

بعد أن عرضنا مفهوم الرحلة و دافعها و دواعي تدوينها سنحاول تسليط الضوء على ماهية أدب الرحلة ، و الملاحظ لهذا المصطلح-أدب الرحلة- يجده متكونا من شقين ألا وهما "أدب ، رحلة " ، فالأدب هو ذلك الإنتاج الذي ينقل الواقع و يعتمد طريقة في الكتابة تكون ذات فكرة تتماشى و تفكير صاحبها ، أما الرحلة فليس المراد منها الحركة و الانتقال و إنما تلفظ الفعل و الحركة و نقلهما إلى كتابة ،"فأدب الرحلات إذا هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية ، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلاد العالم ، ويدون وصفا لها ، ويسجل فيه مشاهداته و انطباعاته ، بدرجة من الدقة و الصدق و جمال الأسلوب"[1].

وقد جاء في "معجم مصطلحات العربية في اللغة و الأدب" أن أدب الرحلة هو: "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة ، وقد يعرض فيها ما يراه من عادات و سلوك و أخلاق ، و لتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة ، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"[2] فأدب الرحلة في منظور مجدي وهبة هو تلك المؤلفات التي تتحدث عن رحلات واقعية قام بها الرحالة إلى بلد ما ، بحيث أن الذات تصبح هي المسيطر في مثل هذا النوع من الأدب حسبه.

أما ناصر موافي فيعرفه بأنه :"ذلك النثر الذي يصف رحلة-رحلات- واقعية ، قام بها رحال متميز، موازنا بين الذات و الموضوع ، من خلال مضمون و شكل مرنين ، بهدف التواصل مع القارئ و التأثير فيه"[3] ، بينما يعرفه سعيد بن سعيد العلوي بأنه جنس أدبي له من الصفات و الخصائص ما يكفي لتمييزه عن الأجناس الأدبية ، كونه خطاب مخصوص له منطقه الذاتي و بناؤه و مكوناته و عناصره ، يجمع بين الإفادة عندما يخبرنا عما يراه ،

---

[1]- إنجيل بطرس، الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال ع7، القاهرة، 1975 ،ص 52.

[2]- مجدي وهبة،كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ،مكتبة لبنان بيروت،ط2، 1944-1984،ص17.

[3]- ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ص41.

الإمتاع عند رصده ما هو عجيب ، فالرحالة يتقمص شخصية السارد أو القاص[1]، وتتحدث أسماء أبو بكر عن نص الرحلة فتقول :"فن من فنون القول العربي ، يصف مجالات الحياة عند الرحالة الذي سجل رحلته ، أو حكاها لغيره ثم سجلها"[2]، و الباحث في هذا اللون يمكن أن "يظفر بمئات الكتب في أدب الرحلات ، أي ذلك النثر الذي يتخذ من الرحلة ، أو بمعنى آخر الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري متميز، وفي لغة خاصة ، ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه وسماته المستقلة"[3].

وهنا يرى شوقي ضيف أن الرحلة تعد من أهم فنون الأدب العربي، تتضمن أحداثا ومغامرات عدة "تصاغ في أسلوب قصصي بديع يؤكد الواقع أحيانا وينشئ لنا عوالم خيالية"[4]. إننا نلمس في هذا التعريف شيئين مهمين، الأول: أن التعريف الذي قدمه شوقي ضيف لأدب الرحلة اعتمد على الطريقة التي يدون بها الرّحال رحلته، فهو قد ربط بين أدب الرحلة وفن القصة جاعلا منه " خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها هذا الأدب ونقصد تهمة قصوره في فن القصة[5]. أما الملاحظة الثانية فهي إشارة شوقي ضيف إلى ارتباط فن الرحلة بالخيال، وهذه إشارة إلى ارتباط الرحلة بالأسطورة والخرافة، "فبعد انفتاح الثقافة العربية على نظيرتها الفارسية أفرزت دخول نصوص تتأسس على الخيال... و سرعان ما تسربت النصوص الرحلية التي تنفتح عادة على كل ما هو غريب وعجيب"[6] .

ويرى نبيل راغب وهو أحد أبرز الباحثين المهتمين بفن الرحلة، حيث يرى أن كل وصف لرحلة يمكن أن يدرج ضمن أدب الرحلات، وهذا الأدب كما يراه الكاتب ذاته، قديم ضارب في جذور التاريخ، ويعود إلى مرحلة الشفاهة، حيث يقر في مقال له أن البدايات الأولى لأدب الرحلات كانت "في الانطباعات والملاحظات التي سجلها الرحالة الأوائل في

[1]- ينظر:سعيد بن سعيد العلوي، أوربا في مرآة الرحلة:صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب ،ط1،ص1995 ،ص14.
[2]- أسماء أبو بكر، ابن بطوطة الرجل و الرحلة ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1 ،1992 ،ص14.
[3]- سيد حامد النساج، أدب الرحلات في حياتنا الثقافية، مجلة العربي، الكويت، يناير 1987، ص113.

[4]-شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، ص5.
[5]- المرجع نفسه، ص6.
[6]- أحمد بوغلا، الرحلة الأندلسية الأنواع والخصائص، دار أبي رقراق الرباط، ط1، 2008، ص65 –ص66.

رحلاتهم ومغامراتهم المختلفة، وغالبا ما كانت هذه الملاحظات على شكل مواقف أو أحاديث تنقل شفاهة من لسان إلى آخر، دون مسؤولية محددة عن السرد"[1].

وقالت عواطف محمد يوسف نواب عن أدب الرحلة والرحالة: "الشخص الذي قام بالرحلة،قد ترك موطنه وانتقل إلى مكان آخر، وسافر من موطنه وقصد جهة أخرى غير موطنه و سار إليها لذا كان لفظ رحلة أعم وأشمل ما يطلق على المسافر من مكان إلى آخر، فالرحال صفة مشتقة من الفعل الذي قام به وهو الرحلة "[2] .

ويعرف الدكتور إنعام الحق غازي أدب الرحلة نقلا عن إحدى معاجم المصطلحات الأدبية، حيث قال: "هو جنس أدبي مهمل ذو تنوع كبير وترجع أصوله إلى العصور القديمة، وقد ساهم فيه كثير من الكتاب الخبراء المشهورين وغيرهم من الناس منهم الدبلوماسيين والعلماء والدعاة والأطباء وأصحاب الجيش و البحريين. و هذا الجنس الأدبي يضم الأعمال التي تتصل بالاستكشاف و المغامرات كما أنه يشتمل على سجل الملاحظات التي دوّنها الرحالون عن الأراضي الأجنبية"[3].

و ذكر الدكتور أنور سديد العناصر المهمة لأدب الرحلة و يمكن إدراجها فيما يلي:

* الرحلة هي تلك الكتابة الأدبية التي تتميز بالسرد و التي يجمع الرحالة مادتها خلال مشاهداته في الأراضي الأجنبية.

*تتضمن الرحلة الأحوال و الانطباعات و المعلومات التي تتراكم لدى الرحالة خلال سفره

---

[1]- نبيل راغب، أدب الرحلات، مجلة الفيصل ع88، الرياض المملكة العربية السعودية، تموز"يوليو" 1984 ، ص17.

[2]- عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، د.ط، 1996، ص41.

[3]- حافظ محمد بادشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي أطروحة دكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد،2013،ص14،نقلا عن إنعام الحق الغازي، صورة شبه القارة الهندية-الباكيستانية عند العرب، ص4.

*كلما تمتع الرحالة بدقة النظر و عمق التفكر، كثرت تفاصيله، فالناظر العادي يذوب في تحديد المنظر الجغرافي و بيان سماته الخارجية، و الحديث عن أهل البلد مركزا على الإحصائيات و ما شابه ذلك من معلومات.

*تتكون الرحلة من الأفكار و العواطف و الآثار السلبية و الإيجابية.

*يضم الرحالة عواطفه العميقة إلى الأوضاع الخارجية و بذلك يعبّر عما يدور في قلبه، ومن هنا يتميز أسلوب الرحلة حيث يصبح أسلوبا أدبيا مؤثرا[1].

وهناك من اعتبر أن الرحلات التي لا تتسم بالواقعية، أي " تلك التي لم تتحقق فيها بنية السفر الفعلية والتي لم يقم بها مؤلفها فعلا، لا تدخل في مجال أدب الرحلات مهما استند مؤلفوها إلى حقائق و وقائع نقلت إليهم ومن أمثلة تلك الرحلات "التوابع و الزوابع" لابن شهيد و "رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري"[2].

إن الأسس التي يجب توفرها في الرحلة حتى تدخل ضمن دائرة أدب الرحلات تتجلى فيما يلي :

- الرّحالة : وهو الشخص الذي قام بالرحلة و هو أول عنصر أساسي ، ويشترط فيه أن يكون رحالة عاشقا للرحلة ، يرى نفسه فيها في حياة متجددة ، يهوى السفر و يشتاق إليه ، ويجد فيه المتعة رغم مكابدة الشقاء ،ويسعى إليه لحاجة في نفسه أو لعامته ، وهذا ما يجعله يرتقي إلى مقام باحث "وما الباحث إلا اسم آخر للرحال ، إذ الرحال الحق يود أن يرحل دوما ، حتى لا يكون هناك ما يبحث عنه"[3] ، ومثل هذا الرحالة هو الذي لا يتوانى عن تسجيل كل ما يلاحظه و يشاهده و إضافة كل ما يبعث في الإعجاب في النفس و الاستغراب في العقل.

[1]- حافظ محمد بادشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي ،ص15،نقلا عن: أنور سديد اردو ادب مين سفرنامه،ص48-ص52.
[2]- ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص41
[3]-المرجع نفسه ، ص44.

-الرحلة:يشترط فيها أن تكون واقعية.

-الوصف: وذلك بوصف الرحالة كل ما وقع عليه نظره وشد انتباهه حول ذلك البلد ويعد الوصف أساس الرحلة.

و عليه يمكن اعتبار أدب الرحلات، بأنه ذلك النثر الذي يصف رحلة واقعية ما، قام بها رحالة متمكن من لغته، متميز بأسلوبه وسعة خياله، يتمتع بقدرة على التأثير في المتلقي[1].

بعد أن حددنا ماهية أدب الرحلات كمصطلح سنحاول الوقوف على مصطلحين آخرين هما الجغرافيا الوصفية و الأدب الجغرافي، فهما أقرب ما يكونان إلى المصطلح الأول-أدب الرحلة- و ذلك بغية إزالة اللبس الذي قد يواجه الدارس عند الوقوف عليهما :

أ-الجغرافيا الوصفية :

وتعرف كذلك باسم "علم المسالك و الممالك" ، وهي تصنف ضمن العلوم الدقيقة ويمكن القول أنها ذلك العلم الذي يعنى بدراسة سطح الأرض وما عليه من أنهار و بحار ، ووديان و سهوب و جبال وظواهر طبيعية ، وهي :"على النقيض من أدب الرحلات ، ذلك أنها تهدف إلى الوصف الجغرافي العلمي أساسا ، مستخدمة منهج العلم و أسلوبه ، دون أن يكون لهذا الأسلوب خصائص أدبية ...كل التركيز على المعلومات توصيلا مباشرا لا تراعى فيه النواحي الجمالية أو الذاتية"[2] أما بداياتها الأولى فكانت في نهاية القرن الثامن ميلادي (2هـ) و بداية القرن التاسع الميلادي (3هـ) " على أيد اللغويين ولكن نافسهم في هذا المجال المؤرخون مثل هشام الكلبي (204هـ:811).وابن قتيبة (272هـ-119م).كذلك اهتم المؤرخون الجغرافيون في المغرب العربي بكتابة الجغرافية الوصفية وكان في مقدمتهم الرازي(ق4هـ-10م) الذي وضع قواعد علمي التاريخ و الجغرافيا معا. وبمرور الزمن نجد أن أدباء و كتاب و علماء أسهموا في إثراء المعرفة الجغرافية الإسلامية دون أن

[1]- ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ص40.

[2]-المرجع نفسه ، ص36.

يكونوا هم أنفسهم جغرافيين ... فالجاحظ أعظم الأدباء و المثقفين على زمانه ضمن كتبه كثيرا من المعارف الجغرافية بل إنه أصدر كتابا في الجغرافية الإقليمية أسماه«كتاب البلدان»"[1].

ب-الأدب الجغرافي:

هو مصطلح من أبرز المصطلحات التي ارتبطت بفن الرحلة ، و كثيرا ما وظفه الدارسون في كتاباتهم ، و القصد منه تلك المؤلفات التي يحافظ فيها أصحابها على الطابع العلمي ، ويقدمونها بأسلوب يلامس الأسلوب الأدبي ، وهم يزاوجون فيها "بين الغاية العلمية من كشف و اكتشاف لمظاهر الكون و الإنسان ، وبين الغاية الأدبية المجسدة في مظاهر المتخيل من حكايات و أساطير و مرويات مختلفة"[2] ، الملاحظ للمصطلح-الأدب الجغرافي- يجد أنه يمزج بين كلمتين: أدب وهو ذلك الكلام الفني الجميل و بين جغرافيا وهي علم دراسة الأرض وما عليها و هذا الربط بين الكلمتين له دوافعه إذ أن الأدب الجغرافي "هو من ناحية يولي وجهه شطر العلوم ، أعني العلوم الدقيقة ، وذلك بالمعنى الذي نفهمه حاليا وإذا ما أردنا تحديد علم الجغرافيا ، ومن ناحية أخرى فهو يولي وجهه شطر الأدب الفني ، بالغا ببعض آثاره في هذا المجال ذروة الإبداع"[3] وعليه فإن الأدب الجغرافي يتبع " المنهج العلمي ، ولكن بأسلوب أدبي ، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر و بحيث تظل شخصية الرحال بين آن و آخر ، لتقيم نوعا من التوازن بين الموضوع و الذات و بحيث يتعلم القارئ ويستمتع في آن .إنها ازدواجية تهدف إلى التقديم المباشر للمعلومة ، أو لتحقيق حدتها و جفافها ، بحيث لا يميل القارئ"[4] .

[1]- عبد الفتاح محمد وهيبة، مكانة الجغرافيا في الثقافة الإسلامية، دار الأحد، بيروت، د ط، 1979، ص8-ص9.

[2]- عبد الرحيم المودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر ، ص61.

[3]-- لبنى لونانسة، النقد التطبيقي في الرحلات المغربية في القرنين 7و 8هـ، مذكرة ماجستير جامعة باتنة،2014/2013، نقلا عن كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب، ص 18.

[4]- ناصر عبد الرزاق موافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ص37.

ويمكن للجدول التالي أن يوضح خصائص كل مصطلح:

	الجغرافيا الوصفية (ق2هـ)	أدب الرحلة (ق3هـ)	الأدب الجغرافي (ق3هـ)
نهج علمي	أسلوب علمي(اختفاء العناصر الأدبية أسلوب موضوعي(اختفاء العناصر الذاتية)		أسلوب علمي توازن بين الموضوع و الذات
نهج أدبي		أسلوب أدبي غلبة العناصر الذاتية	

2-نشأة أدب الرحلة الفرنسي:

لاشيء وجد كاملا في هذا الكون منذ الوهلة الأولى، فكل شيء يبدعه الإنسان لابد أن يبدأ بسيطا ثم يمرّ بفترة يخضع فيها للإضافة والتعديل قبل أن تكتمل صورته، فالعلوم باختلافها وعند الأمم جميعا "مرت بعدة مراحل قبل أن تصل إلى ما هي عليه اليوم ،من دقة وضبط ،وقبل أن تتخذ صفة العلم القائم بذاته ، بفضل تقدم العقل البشري وأدواته العلمية"[1].

ومن هذا المنطلق يمكننا الجزم أن جذور أدب الرحلة وبداياته كانت بسيطة لا تعدو أن تكون ملاحظات عادية وانطباعات ذاتية"سجلها الرحالة الأوائل في رحلاتهم، ومغامراتهم المختلفة"[2].

والحقيقة أن الرحلة في التراث الأدبي الغربي لا يمكن أن نتحدث عن تأصيلها وظهورها الحقيقي إلا مع ظهور كتّاب وصلت إلينا كتبهم فعلا أو وجود آثار مادية أقرها الباحثون تكون شاهدا نطمئن إليه وعليه نبني أحكامنا.

[1]- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ط2، ص7.
[2]-نبيل راغب، أدب الرحلات،مجلة الفيصل ع88، ص71.

وقد اعتبر الدارسون والنقاد من قبلنا أن ملحمة جلجامش* تعتبر مفخرة حضارة واد الرافدين، وهي أول نموذج وثقه الإنسان من رحلة ،فهي وثيقة كونية بامتياز تعرض رحلات بطلها جلجامش رفقة أنكيدو، العدو المتوحش الذي سخرته الآلهة للتصدي للملك.

وتعتبر الملحمة اليونانية المعروفة بالأوديسة لهوميروس مظهرا من مظاهر الرحلة في التراث الغربي، فهي تتناول مجموعة من الوقائع والأحداث امتزج فيها الواقع بالخيال والحقيقة بالأسطورة، وقد قسم الدارسون هذه الملحمة إلى ثلاثة أقسام تمثل ثلاث رحلات:

القسم الأول: يتناول رحلة تليماك للبحث عن أبيه عوليس .

القسم الثاني: يروي بالتفصيل رحلة عوليس ومغامراته وما لقاه من مصاعب وأهوال وعراقيل في الجزر والبحار التي قطعها.

القسم الثالث: يمثل النهاية ويصور رحلة عودة عوليس إلى وطنه واسترداد ملكه وتخلصه من منافسه على زوجته[1].

وقد اعتبر أغلبية الدارسين والباحثين أن هيرودوتس* يعتبر"أبا لأدب الرحلات، كما أنه أبو التاريخ فقد استقى من رحلاته الطويلة العريضة في بلاد الإغريق مسحا وصفيا شاملا لها، ومن ثم استطاع تقديم عرضه العظيم للتاريخ في عام 425 قبل الميلاد، ولم يسع للوصف التفصيلي لرحلاته، بل اكتفى بالتركيز على النتائج التي أنشأت علم الجغرافيا[2].

---

* - هي ملحمة سومرية عراقية قديمة دونت على أحد عشرة لوحا تعود إلى الألف الثانية قبل الميلاد شاعت قديما تحت عنوان "من رأى كل شيء" بطلها جلجامش ملك أوروخ إحدى مدن مابين النهرين الذي تروي الأساطير أنه كان ملكا ظالما نقم عليه شعبه...

[1]-عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين بيروت، دط، 19383 ص624.

* - هيرودوت Hérodote "484-421م" كاتب يوناني اشتهر مؤلفاته وتسجيلاته الواقعية والحقيقية التي تبتعد عن الخرافة والأسطورة من مؤلفاته "التواريخ"الذي يحتوي على مناقشات قيمة حول العادات والتقاليد والجغرافيا والتاريخ.

[2]-نبيل راغب، أدب الرحلات، مجلة الفيصل، ع 88، ص71.

وقد اعتبر الدكتور نبيل راغب أن" كسينوفون"[*] صاحب كتاب "الأناباسيس" الذي ألفه في عام 371 ق.م، هو الواضع الحقيقي للتقاليد الأدبية لأدب الرحلات، باعتباره استطاع أن يجمع في كتابه بين أمانة الوصف، ونقل الخبر، والقيمة الفنية التي تتخطى السرد المباشر، إلى السرد الفني، نظرا لاعتماده الكتابة بأسلوب فني يخاطب به العقل والوجدان معا[1].

شكلت الفترة مابين القرنين الخامس عشر والسادس عشر ميلادي العصر الذهبي لأدب الرحلة في أوربا، إذ رحل عدد كبير من الأدباء الرحالة أمثال: رابليه Rabelais ومونتاني montagne و ماينارMaynard إلى مختلف الأقطار، ثم إن البحث الرومانتيكي عن الغرائبية فرض على الكتاب والمغامرين ارتداء الزي التقليدي وهذا ما فعلته إليزابيث إبرهارت Elisabeth Eberhart، و ذلك لتجنب عبارات السب و الشتم من طرف السكان المحليين.

كتب مادان madden قائلا "إن العرب يكرهوننا للباسنا وديننا: للباسنا الذي يبدو لهم ضيقا يلتصق على الجسم ويعطي صورة لهم بأننا قردة" وبارتدائهم للباس المحلي حاول الرحالة والكتاب التمكن من الغرائبي الموجود في العالم العربي"[2].

وبتطور وسائل المواصلات البحرية أظهر عدد من الرحالة سحرهم بالشرق أمثال تيوفيل كوتيي Théophile Gautier وألفونس دودي Alphonse daudi وأندريه مالرو André Malraux .

وقد أصبح أدب الرحلة تقليعة جديدة منذ بداية الرومانسية إلى غاية القرن العشرين، حيث شهد ظهور أدباء رحالة يجوبون أراضي الشرق منجذبين نحو كل ما هو غرائبي

---

[*] -اكسينفون من مشاهير الفلاسفة اليونانيين وهو أحد تلاميذ سقراط اختير لقيادة جيش المرتزقة أثناء انسحابه من معركة وقد أرخ لهذا الحدث في كتابه"انا بيزيس" "الرحلة إلى البحر" ويطلق عليه كذلك عودة العشرة آلاف وهو عدد الجنود عند تراجعهم.

[1] -نبيل راغب، أدب الرحلات، مجلة الفيصل، ص71-ص72.

[2] -Joélle redouane ;<<Lorient arabe vu par les voyageurs anglais>> ; Opuenl , Alger , 1988 p11.

وعجائبي مثل: بيير لوتيpierre loti الذي أقام بأسطنبول واعترافا بجميله أطلقت بلدية إسطنبول اسمه على أحد شوارعها ، وكذلك ناصر الدين إيتيان ديني الذي أقام بمدينة بوسعادة فرفع صيتها عاليا باللوحات الفنية الخالدة التي رسمها، مثل لوحة المرأة البوسعادية، ولوحة المستحمات، ولوحة الذهاب إلى الحج، ولوحة ترصد الهلال.

وقد كتب أندري جيد andré jide كتابا بعنوان"الأغذية الأرضية" وهو عبارة عن دعوة إلى السياحة عبر الأقطار التي زارها.

وفي هذا الجو المليء بروحانية الشرق ومثله العليا الحقيقية فتحت جامعات عديدة أقساما للغات الشرقية، واستعانت كثيرا من وزارات الخارجية في تلك البلدان بأدب الرحلة وتقارير المبشرين وكتابات المستشرقين، تمهيدا للموجة الاستعمارية العسكرية التي تلت الثورة الصناعية الأولى.

و ببداية القرن 19م احتلت بعض دول أوربا بلدان من الوطن الإسلامي، ومارست مختلف أشكال القهر المادي والفكري، فرافق رحالة كثيرون الجيوش الغازية، وكانوا من المثقفين والأدباء الذين اهتموا بعادات الشعوب المستضعفة وحددوا طرق تفكيرها، بل وسعوا إلى بث الشك بين أبناء الشعب الواحد، الشك المؤدي إلى تفتيت المفتت وتجزئة الجزء، و خلال القرنين 15و20م تمت معظم أسفار كبار الرحالة الفرنسيين، كانت الرحلة إلى الجزائر تكلف صاحبها أموالا كثيرة، لا يستطيع القيام بها إلا الأثرياء وكانوا يتخذون من بعض الأهالي مرافقين لهم. وقد اعتبرها شباب الأرستقراطية الفرنسية وسيلة للتحرر. فمنهم من كان يريد نشر المسيحية في هذه الربوع[1].

وبحلول القرن 17م ازدهرت الرحلات و تمت معظم أسفار كبار الرحالة وقد توجهت الرحلة الفرنسية إلى حياة الماضي المتمثلة في حضارة الشرق والهروب من المدينة الأوربية بما فيها من ضجيج وصراع، واشتهرت باريس بدل روسيا بمجالس المثقفين وكان حديثهم عن الشرق وسحره، وبدخول فرنسا إلى الجزائر سنة 1830م انفتحت مدن

[1]-Joélle redouane ;<<Lorient arabe vu par les voyageurs anglais>> ; Opuenl , Alger , 1988 p13.

هذه الأخيرة على المكتشفين، الذين استغلت الدوائر الاستعمارية كتاباتهم لفهم عقلية ونفسية سكان الجزائر خاصة شعوب البدو الرحل الثائرين، يقول جاندي jean déjeux: " من 1830 إلى 1900 نظر إلى الجزائر على أنها أرض فتح وأحاسيس جديدة: أرض فتح من خلال شهادة العسكريين، مذكرات الجنرالات وتقارير المراسلين الحربيين، أرض الأحاسيس الجديدة لأن الكتاب السواح كانوا يبحثون فيها على إيطاليا جديدة أو على شرق جديد يلبي أحلام الرومنطقيين"[1] .

وبحلول القرن العشرين تطورت وسائل المواصلات مما مكن الاتصال بين شعوب وحضارات تختلف فيما بينها من حيث العادات و التقاليد، فتفتحت أعينهم على حقائق جديدة جعلتهم يعيدون النظر في مسألة المركزية الأوربية التي كانت تجعلهم يعتقدون بأن أوربا هي مركز العالم، فنبذوا المطلق وتبنوا النسبية التي كانت أهم إنتاج للحضارة الأوربية.

استفاد الأدب الغربي من الاكتشافات التي انجذب إليها الغامرون والمبشرون والأدباء الذين حطوا رحالهم لاستعمار الجزائر نتيجة لتطور النظام الرأسمالي. فقد كانت نصوص" العهد القديم" الأساس الأصلي لحركة الاستشراق مابين القرن 17و19م لأن الغرب لم يولد من عدم، بل كان نتاج تأثر بمعارف الشرق وعلومه خلال العصور القديمة، حينما كانت بعض الدول كفلسطين ومصر وبابل تحتل مركز الصدارة في تطوير العلوم.

وقد رسمت الرحلة الفرنسية صورة العربي المتكونة من الانطباعات الشائعة والمشتركة بين الفرنسيين حيال الآخر، و هي المترسبة عبر قرون طويلة فيما يعرف بالمخيال الفرنسي و الذي ابتدعته مختلف الكتابات حول الرحلة إلى بلدان الشرق و بلدان إفريقيا و آسيا، و قد خلقت الرحلات الفرنسية معرفة متراكمة حول المناطق المكتشفة آنذاك.

---

[1] - Jean déjeux ; « Littérature maghrébine de langue française » ed , naaman sherbrooke , qué, canda, 1973, p. 14.

3-دوافع أدب الرحلة:

إن الملاحظ لهذه الرحلة أو الرحلات لا يجدها تمت اعتباطا و إنما كانت بفعل دوافع و أسباب يمكن إيجازها فيما يلي:

أ-الدافع الديني:

يعتبر الحج من العوامل الأساسية التي تدفع الرحالة إلى شدّ رحاله إلى المشرق، فهو الركن الخامس في الإسلام فرضه الله على عباده في جاهليتهم و بعد إسلامهم، و هو واجب إلزامي على المسلم الذي توفرت له صحة و مال.

و طبيعي أن الدافع إلى الحج أداء الفرض في طاعة الله، و لا ننسى أن الدافع الأكبر لزيارة بيت الله هو التكفير عن الذنوب التي اقترفها المسلم، وكذلك "زيارة قبر الرسول عليه الصلاة و السلام، و المزارات الدينية الأخرى، كالمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، وقبور الأنبياء و الصحابة و الأولياء، في كل من بغداد و دمشق و القاهرة وغيرها، ويعد هذا العامل من أقوى البواعث على الرحلة فهو مبعث الحنين..."[1].

ويعد الحج الملهم للرحالين فبفضله تمّ " سرد كثير من القصص و الأخبار التي سمعوها في طريقهم ، ووصف المشاهدات التي رأوها في سبيلهم ، و دَوَّنَ بعض الحجاج واسعي الثقافة مشاهداتهم بعد عودتهم ، لينتفع بتجارتهم سائر المسلمين ، و لتساعدهم على أداء مناسكهم ، و من ثمّ زخرت كتبهم بأحوال سكان البلاد ، و طبيعة مزاجهم و أسس اقتصادياتهم ، و ينابيع ثروتهم و رخائهم"[2].

و ابن بطوطة يذكر في رحلته سبب خروجه من وطنه إلى المشرق فيقول: " كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة

[1]- نوال عبد الرحمن الشوابكة،أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، دار المأمون للنشر و التوزيع ، عمان ،ط1 ، 2008، ص27 .

[2]- إبراهيم أحمد العدوي ، ابن بطوطة في العالم الإسلامي ، دار المعارف ، مصر ، د.ط ، 1954 ، ص8.

وعشرين و سبعمائة ، معتمدا حج بيت الله الحرام و زيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة و السلام"[1].

و قيل أن "ناصر خسرو* (394هـ -481م) استمر يعيش معيشة ترف و بطالة حتى سنة (437هـ -1045م)، نُظِر له في رؤيا شيخ طلب إليه أن يكف عن تلك الحياة و عن شرب الخمر ، فسافر لتأدية الحج وقام في هذه المناسبة برحلات طويلة في الشرق الأدنى"[2].

كذلك من الرّحالة الذين زاروا بيت الله و دونوا ما شاهدوه خلال رحلتهم "محمد السنوسي" الذي يُصرح بأنه كانت له رغبة في السفر فيقول: "هذا و للعبد الضعيف المكتفي بالموضوع عن التعريف منذ عقلت فضيلة الإجماع و أدركت سر الله في التعاون بتجاذبي الانتفاع رغبة تدعوه في كل وقت للسياحة للحصول على النظر الذي عهد الدين نجاحه"[3]، وقال أيضا بخصوص وسم رحلته بالحجاز: "... و بما أن أصل السفر للحجاز كان أول غرض فيما عرض إليه جميع الكتاب اعتبارا لشرف ما اختص به من المزية و سميته الرحلة الحجازية"[4]

ب-الدافع العلمي:

يعدّ طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة ، لذلك كان على طالب العلم أن يرتحل أينما كانت المعرفة ، قال تعالى:"۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ

[1]-محمد بن عبد الله ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ج1 ، تح محمد السويدي ، موفم للنشر ، الجزائر ، د.ط ، 1989 ، ص7.

*-ناصر خسرو رحالة و شاعر و فيلسوف فارسي اعتنق المذهب الشيعي له كتاب "الأسفار" دوّن فيه أخبار سفره في العالم الإسلامي.

[2]- حسين نصار ، أدب الرحلة ، الشركة المصرية العالمية+ دار نوبار للطباعة ،روض الفرج ، شبرا القاهرة ، ط1 ، 1991 ،ص19-ص20.

[3]- محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، تح علي الشنوفي ، الشركة التونسية للتوزيع، د.ط، 139ه/1976م، ص26.

[4]-المصدر نفسه، ص27.

يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ "[1]،و قد كانت الرحلة في طلب الحديث الشريف من لوازم طريقة المحدّثين

و منهجهم في التحصيل العلمي "قال: يحي بن معين أربعة لا تؤنس منهم رشدا حارس الدرب و منادي القاضي و ابن المحدّث و رجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث"[2] فالمحدثون أسهموا بنصيب وافر في تثبيت الرحلة كأساس علمي ضروري و لم يقتصر دورهم على هذا فحسب بل أسهموا في إنضاج أدب الرحلة بإنتاج نماذج طيبة منه و كان الدافع لإنتاجها رغبتهم في بيان مدى ما كانوا يعانون في سبيل جمع الحديث الشريف والرحلة في طلب الحديث ليست بالأمر السهل فقد كانت رحلة المحدثين تستغرق شهورا فقط لسماع حديث واحد فقد تكبد الرواة مشقة السفر وتحملوا الصعاب من أجل التثبت والتأكد من صحة الحديث.

وقد كان طالب العلم قديما يتعلم في بلاده ثم يسافر و ينزل بإحدى حواضر الوطن العربي، و يجالس أشهر علمائها ويحضر دروسهم و يسعى إلى نيل إجازتهم ، بل "إن هناك من العلوم الإسلامية ما يرتبط بالرحلة ارتباطا عضويا لا انفصام له ، مثل الجغرافيا و لذلك نجد الجغرافيين المسلمين من الرحالة"[3] و أساسهم في كل هذا نيل الثواب و الأجر فالرسول صلى الله عليه و سلم يقول :"ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة و غشيتهم الرحمة و حفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده"[4].

وتكلم ابن خلدون عن الرحلة في طلب العلم فقال :"الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال من التعلم ، و السبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم و أخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب و الفضائل تارة علما و تعليما و إلقاء،و تارة محاكاة و تلقينا بالمباشرة ، إلا أن حصول الملكات المباشرة و التلقين أشد استحكاما و أقوى روحا،فعلى

---

[1]- سورة التوبة، الآية 122.
[2]- الخطيب البغدادي،الرحلة في طلب الحديث، تح نور الدين عتر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1975م، ص71-ص72.
[3]- حسين نصار : أدب الرحلة ، ص 32.
[4]- محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي ،صحيح مسلم بشرح النووي ج17، المطبعة المصرية بالأزهر مصر، ط،13491 هـ/1930م، ص21.

قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة و رسوخها"[1]،و بتتبع تاريخ الرحلة يلاحظ أنه و"ابتداء من القرن الثالث عشر بدأ طابع الرحلة في طلب العلم يطغى على نمط الرحلة ، وما لبث أن اتسع نطاق انتشاره على ممر القرون حتى بلغ الأوج بوجه خاص في العهد التركي"[2].

جـ- الدافع السياسي:

وتسمى "الرحلة الرسمية" أو "الرحلة الإدارية" وتتمثل في الوفود و السفارات، التي يبعث بها الملوك و الحكام إلى ملوك و حكام الدول الأخرى لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات ، أو لمناقشة شؤون الحرب و السلام ، أو تمهيدا لفتح أو غزو"[3] ، وقد تكون هاته الرحلات بهدف التجسس و الاستطلاع ، كرحلة سلام الترجمان عام 841/227م ، و التي كانت بتكليف من الخليفة الواثق بالله ، قصد معرفة حقيقة سد الصين الكبير الذي يقال إن الإسكندر بناه بين العالم القديم و ديار يأجوج و مأجوج[4].

و حسن إدارة شؤون البلاد والعباد اقتضت وجود الرحلات "اقتضت ضرورة الحكم و الإدارة،و تقدير الثروات و حجم الضرائب أن يكلف الحكام بعض الأشخاص بالقيام برحلات تفقدية لجميع البيانات و الحقائق، و تقديم التقارير، وقد لعبت الرحلات دورا هاما في أدائه"[5].

و هناك من الرحلات من تكون ذات طابع سياسي ، لكنها تتعداه إلى غيره من ذلك :«إرسال البيروني إلى بلاد الهند من قبل محمود الغزنوي، وقد أثمرت عن معرفة شاملة ومباشرة بأحوال الهند الثقافية و البشرية و الدينية، كما ظهرت في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"»[6].

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني و مدرسة بيروت، لبنان ، دط، دت، ص1044.

[2]- كراتشوفسكي اغناطيوس يوليانوفيتش ، تاريخ الأدب الجغرافي ، تر: صلاح الدين عثمان ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1987 ، ص401.

[3]- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب ، ،ص 20.

[4]- شوقي ضيف ، الرحلات ، ص9.

[5]- حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، ص91.

[6]- عبد الله ابراهيم ، صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2001، ص91.

و كذلك رحلة ابن بطوطة، فمعروف أن رحلة ابن بطوطة كانت دينية ، لغرض أداء مناسك الحج و لكن رغبته في السفر جعلته يواصل الرحلة بعد فريضة الحج، ليختاره سلطان الهند كسفير له في الصين، يقول ابن بطوطة: " بعث إلي السلطان خيلا مسرجة وجواري و غلمانا و ثيابا و نفقة، فلبست ثيابه و قصدته... و لما وصلت إلى السلطان زاد في إكرامي على ما كنت أعهده، و قال لي: إنما بعثت إليك لتتوجه عني رسولا إلى ملك الصين، فإنني أعلم حبك للأسفار و الجولان، فجهزني بما أحتاج له،..."[1]، فقد كانت رحلته ذات دافع ديني في الوهلة الأولى لتشمل عدة جوانب: علمية، إدارية،....

د-دافع اقتصادي:

تكون هاته الرحلات للتجارة وتبادل السلع أو فتح أسواق جديدة،و قد تكون هروبا من غلاء الأسعار و المعيشة ، و جاء في القرآن الكريم أن قريشا كانت لها رحلتان يقول تعالى:"لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ "[2] ، و الباحثون مُجمِعُون على أن هاتين الرحلتين كانتا للتجارة ، ذلك أن أهل مكة كانوا تجارا بالدرجة الأولى ، وكانت قوافلهم تنتقل من اليمن إلى الشام.

و بمجيء الفتوحات الإسلامية اتسعت رقعت الاتجار و تبادل السلع، و التاجر النشيط أصبح ينتقل من قطر إلى آخر دون أن يعيقه عائق ، وكان التجار يمرون بالبلد و يتعرفون إلى أهله وعاداتهم[3]، وقد ساعد تدوين الرحلة على معرفة الطرق التجارية "معرفة طرق التجارة البرية و البحرية ، ولعل أول ما ارتبطت به الرحلات ، علم تقويم البلدان و المسالك و الممالك ،لوصف الطرق، و المناخ، والعديد من الأمور الأخرى، وذلك لمعرفة الطرق إلى مكة للقيام بفريضة الحج، وتسهيل عملية التجارة في مختلف البلدان و البقاع ، وكانت

---

[1]- محمد بن عبد الله ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ج1،ص202-203

[2]-سورة قريش، الآيات 1،2.

[3]- نقولا زيادة، الجغرافيا و الرحلات عند العرب، الأهلية للنشر و التوزيع بيروت،ط1، 1980، ص137.

التجارة ضرورة من ضرورات الحاج و المسافر،إذ لابد من الحصول على موارد مالية لتغطية نفقات الرحلة"[1].

وقد وصف لنا الرحالة (ماركو بولو) هرمز في أواخر القرن الثالث عشر عندما زارها ، حيث يقول:" يأتيها التجار من الهند و سفنهم محملة بالأفاوية و الحجارة الثمينة واللؤلؤ و الأقمشة الحريرية و المذهبة و العاج وغير ذلك من المتاجر،هذه كلها يبتاعها تجار هرمز الذين يحملون بدورهم إلى أسواق الدنيا إنما في الواقع مدينة عظيمة المتجر ،وثمة كثير من المدن و القرى التي تخضع لها و هي العاصمة ...المدينة حارة جدا"[2] .

و التجارة كانت من أهم الدوافع التي دفعت الرحالة " إلى تدوين رحلته حتى يعين القارئ على معرفة طرق التجارة البرية و البحرية، و لعل أول ما ارتبطت به الرحلات، علم تقويم البلدان والمسالك والممالك، لوصف الطرق، والمناخ، والعديد من الأمور الأخرى، وذلك لمعرفة الطرق إلى مكة للقيام بفريضة الحج، وتسهيل عملية التجارة في مختلف البلدان والبقاع. وكانت التجارة في موسم الحج ضرورة من ضرورات الحاج والمسافر، إذ لابد من الحصول على موارد مالية لتغطية نفقات الرحلة"[3]، وبذلك كانت التجارة من العوامل التي تشجع على الرحلات وتنشطها، كما أن"ازدهار الحضارة الإسلامية، وسيادة المسلمين في البر والبحر، وطبيعة الدين الإسلامي كل ذلك من شأنه أن يشجع على الأسفار والرحلات"[4].

هـ-دوافع صحية:

قد تكون الرحلة للعلاج و طلب الشفاء، فبعد حياة البدو و العيش في أحضان الطبيعة تمركز معظم الناس في المدن، و كثرة المشاكل و الضجيج الذي أصبح يسيطر على حياة البشر ، و معظم المرضى يشتكون من الأمراض النفسية و التي ترجع إلى الأسباب السالفة الذكر، فينصح الأطباء مرضاهم للقيام برحلة، و هو الانتقال من موطنهم إلى مكان آخر

[1]- نوال عبد الرحمن الشوابكة ، أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص46.

[2]- نقولا زيادة ، الجغرافيا و الرحلات عند العرب ، ص223.

[3]- نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ،ص47.

[4]- زكي محمد حسين،الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي بيروت، د.ط، 1981، ص6.

يكون أكثر هدوء لاستعادة عافيتهم ،و نجد مثال ذلك عند عبد الرحمن بك سامي فيقول :"إنني في أثناء الصيف الماضي بعد منحي الرخصة من الحكومة السّنية قصدت الأقطار السُورية حسب مشورة الأطباء لتغيير الهواء و الترويح النفسي إثر ما ألمّ بي من انحراف الصحة ..."[1] .

و- دوافع أخرى:

إلى جوانب الدوافع الرئيسية هناك دوافع أخرى تجعل الرحالة يسير في رحلته، وقد تكون رغبة في التمتع بالحياة فيقوم الرحالون بالسفر بمحض إرادتهم دون دافع خارجي ، ومنها ما يكون تسرية للحزن مثلما فعل ابن جبير عندما توفيت زوجته و عظم حزنه فلم يجد من يفرج عنه غير الشعر و الرحلة . أما الشعر فقد نظم منه ديوانا لعله أول ديوان عربي في رثاء الزوجة و سماه "نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح"،أما الرحلة فكانت الثالثة إلى المشرق و توفي فيها بالإسكندرية[2].وقد تكون للتهنئة بأمر محبوب فقد قيل: إن السبب الذي جعل ابن جبير يقوم برحلته الثانية هو تهنئة القائد صلاح الدين لاستعادة القديس من أيدي الصليبين[3].

إن الرحلة الواحدة قد تضم أكثر من دافع، فالإنسان "بحاجة ماسة إلى الرحلة للانتقال و تحصيل خير الدنيا و الآخرة ، يتحرك و ينتقل من مكان إلى مكان سعيا وراء الرزق أو أداء لواجب العبادة لله ، من نحو تحصيل علم نافع ، و أداء فريضة الحج أو العمرة ، أو ليزور أخا في الله بغرض الاطمئنان عليه ، أو المشي لقضاء حاجة له ، أو عيادة مريض اشتدت به علته ، أو ليقف على آثار صنعة الله في خلقه ، أو غير هذا –و هو كثير- من أغراض الرحلة و الانتقال"[4].

ويحدد نوع الرحلة من خلال دافعها و منه تتباين أنواع الرحلة بتباين دوافعها.

و اختلف الدارسون في تصنيفها .فصلاح الدين الشامي يحصرها في ستة أنواع وهي: رحلة تجارة ، رحلة حرب ، رحلة سفارة . وهذه الرحلات الثالث ظهرت قبل

[1]- حسين نصار ، أدب الرحلة، ص47.
[2]- حسين نصار،المرجع نفسه، ص 46.
[3]-نفسه، ص46.
[4]- عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي : الرحلة في الإسلام أنواعها و آدابها، ص8.

الإسلام أما الرحلات الثلاث الأخرى التي ظهرت بمجيء الإسلام و أضيفت إلى قائمة الرحلات فهي: رحلة الحج، رحلة طلب العلم، ورحلة التجوال و الطواف[1].

أما محمد الفاسي فقد جعلها خمس عشرة نوعا . ولكن ، هناك تداخل بينها كالرحلة الدراسية و الرحلة العلمية و كذلك بين الرحلة الرسمية و السفارية و ... وهذه الأنواع هي : الرحلة الحجازية ، الرحلة السياحية ، الرحلة الرسمية ، الرحلة الدراسية ، الرحلة الأثرية ، الرحلة الاستكشافية ، الرحلة الزيارية، الرحلة العلمية ، الرحلة المقامية ، الرحلة الدليلية ، الرحلة الخيالية ، الرحلة الفهرسية ، الرحلة العامة ، الرحلة السفارية"[2].

4-الأهمية المصدرية لكتب الرحلة:

إن كتب الرحلات و الجغرافيا تشكل مصادر لأي باحث يهتم بحضارات و ثقافات مختلفة، فإذا كانت كتب الجغرافيا من المصادر الأساسية في البحث عن التاريخ لأسباب معروفة أهمها ان الباحثين القدامى لا يكادون يميزون بين التاريخ و الجغرافيا. فإن كتب الرحلات القائمة على المشاهدة و المعاينة أكثر إفادة لأنها تقترب من الواقع المراد دراسته.

نعتقد أن دراسة الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في أي عصر عموما. تمر بالضرورة من كتب الرحلات و الجغرافيا، كما أن تصنيف مادتها ودراستها بشكل معمق من شانه أن يدفع إلى الأمام بالدراسات التاريخية، و يكفي الإشارة في هذا الصدد إلى أن كتب الرحلات ساهمت إلى حد كبير في تطوير الدراسات الاثنولوجية* والاثنوغرافيا، "و تجدر الإشارة إلى أن العالم الإسلامي عرف رحلات متعددة على امتداد رقعته شرقا و غربا، وذلك عكس أوروبا الفدرالية باستثناء الرحلات التجارية الجماعية على حدود القرن الرابع عشر ميلادي"[3].

---

[1]- صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي و الدراسة الميدانية، ص114.

[2]- محمد بن عثمان المكناسي، الإكسير في فك الأسير، ص4

*- علم يحاول وضع نظرية واضحة يتعامل بها مع مجتمع معين يعتمد على علم الانثوغرافيا التي تهتم بالجانب الوصفي الأولي لحياة هذا المجتمع.

[3]- إسماعيل المولى، أدب الرحلة و التواصل الحضاري سلسلة الندوات، مطبعة فضالة المغرب، د.ط، 1993، ص10.

** المبحث الثاني **

5- أدبية الرحلة:

1-5- الأدبية في التراث العربي و الغربي:

لفظ الأدبية مصدر صناعي مكوّن من شقين: (الأدب) و اللاحقة (يّة)، يدل على معنى التجريد، و هو مجموع الصفات التي يتصف بها الأدب و تشكل جوهره الأدبي، و إن وصف عمل ما بأنه أدبي يقتضي توفره على صفات تسوّغ للدارس نعته بالأدبية.

و مصطلح الأدبية لفظ وليد النقد الحديث يطلق على ما به يتحول الكلام من خطاب عادي إلى ممارسة فنية إبداعية، وفي التراث العربي أطلق نقادنا القدماء على الأدبية تسميات تدل على معناها فالجاحظ (ت 225هـ) يورد كلاما ينتصر فيه للعرب من حيث إجادتهم لأصناف البلاغة إذ "لهم شاهد صادق من الدّيباجة الكريمة، والرونق العجيب، والسبك والنحت، الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم، ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك إلا في اليسير، والنبذ القليل"[1] فبلاغة العرب في نظره مكتسبة من إجادتهم المطلقة في الشعر، الذي أضفوا عليه خصائص مثل الديباجة والرونق والنحت فهذه الكلمات تنتمي إلى الحقل الجمالي في نعت الكلام الأدبي بصفة " الأدبية".

وقد أقر النقاد القدامى جملة من المقومات لابد من توافرها في الشعر لتميزه عن النثر، فيقول قدامة بن جعفر(ت 326هـ) : "إن أول ما يُحتاج إليه في العبارة عن هذا الفن: معرفة حد الشعر الحائز له عما ليس بشعر، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز-مع تمام الدلالة- من أن يقال فيه: إنه قول موزون مقفى يدل على معنى"[2] ،فإذا كان النثر يشتمل على المعنى واللفظ وهو ليس موزونا ومقفى، فإن الشعر هو نقيضه لأنه يعتمد الوزن والقافية.

وللبنية اللغوية دورها الفاعل في إبراز جودة الشعر، فقد اعتبرها أبو حيان التوحيدي (ت 414هـ) محددا رئيسيا للأدبية، فعلى أساسها يكون التمييز بين الشعر

1-أبو عثمان الجاحظ البيان والتبيين،ج3، تح وشر:عبد السلام محمد هارون، سلسلة مكتبة الجاحظ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة، ط7، 1998، ص، 29.

[2]-قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح كمال مصطفى، مكتبة الخانجي القاهرة، ط3، 1979، ص،17.

والنثر، ويرى الجاحظ أن "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[1]. ويرى ابن سينا (ت 428هـ) أنه يجب التسليم بالحضور المزدوج للدال والمدلول في آن واحد، وعليه فإن الأدبية تتحقق في تعاضد عنصري الدلالة بانتقاء اللفظ الملائم للمعنى الملائم، "فأحسن الشعر ما يوضع فيه كل كلمة موضعها حتى يطابق المعنى الذي أريدت له"[2] .

وبذلك فائتلاف اللفظ والمعنى في شكل متناسق، يبرز النص الشعري ككيان تام تحققت أدبيته، وإن كل كلام أتى به يتحقق بثلاثة أشياء: لفظ حامل، وعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وتكون الخطوة للنظم لأنه لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان[3] ، فبهذا المعنى يكون النظم محددا للتلاؤم بين وحدات العبارة وسبكها في نسيج متماسك.

ويرى عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) أن ما يضمن تأدية المعنى المطلوب هو النظام التأليفي، فتناسق البناء الشعري بترتيبه على صورة تأليفية مخصوصة هو ما يحقق أدبية الشعر، ومن هنا يتبدى النظم كخاصية أساسية في إبراز الأدبية.

أما الفلاسفة فقد أوغلوا في العناية بتحديد مواصفات الأدبية في الكلام فقد اعتبر الفرابي (ت 339هـ) أن العدول عن المبتذل من الكلام يكون من شأن الأقاويل الشعرية والخطبية وما جرى مجراها[4]، وفي هذا السياق اعتبر ابن رشد (ت595هـ) خاصية التغيير قاعدة الاستدلال على شعرية القول، فمقابلة القول الشعري بالقول الحقيقي إقرار بتعلق الأدبية بأساليب في إخراج القول على اختلاف أنواع هذه الأساليب ومستوياتها.

---

[1]-أبو عثمان الجاحظ، البيان و التبيين، ص67.

[2]- أبو الحسن ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح، طه الحاجري ومحمد زغلول سلامة، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة، د.ط، 1956، ص127.

[3]- أبو سليمان الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تح محمد خلف الله ومحمد زغلول سلامة، سلسلة ذخائر العرب: 16، دار المعارف القاهرة، ط2، 1968، ص 36.

[4]- ينظر أبو نصر الفرابي، كتاب الموسيقى الكبير تح غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة وتصدير محمود أحمد الخلفي، سلسلة تراثنا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة، د.ط، د.ت، ص 1092.

والأدبية عند الغرب مرتبطة بمفهوم الأدب عبر مختلف المدارس الأدبية والمناهج النقدية ، لقد كانت بداية نظرية الأدب مع حلول النزعة الرومانسية الألمانية[1] ، فقد ذهب الرومانسيون إلى حد القول إن اللغة الشعرية تستخدم لنفسها نموذجا من العلامات الخاصة، وقد سعت المدرسة الشكلانية إلى تخليص علم الأدب من الخلط السائد في الدراسات التقليدية ووضع أساس علمي لنظرية الأدب، وفي هذا المنحى وجهوا عنايتهم إلى إبراز الطرائق اللغوية التي تجعل من الأدب عملا أدبيا، وقد أوضح مبدع مصطلح الأدبية رومان جاكبسون roman Jakobson سنة 1919هذا بعبارته الشهيرة حين أعلن أن "موضوع علم الأدب ليس هو الأدب ولكن الأدبية (littérarité) أي ما يجعل من عمل عملا أدبيا[2].

وكان لجاكبسون فضل تحديد الأسلوب أو الوظيفة الشعرية للكلام، وربما كان مفهوم القيمة (المهيمنة) من أكثر المفاهيم جوهرية في تحديد الأدبية عند الشكلانيين الروس، فالمكون المهيمن هو الذي يؤمن وحدة الأثر الأدبي وقابلية إدراكه، كما ساهمت تنظيرات البنيويين الفرنسيين في تحديد مفهوم الأدب و أدبيته، لا سيما كتابات تزيفيطان تودوروف tzvetan todorov ،إذ يقيم تعريفه الأول للأدب انطلاقا من نظرية المحاكاة بوصف الخيال مقوما أساسيا للأدبية، إذ لو انتفى الخيال عن الأدب لأصبح مجرد وثيقة واقعية، أما تعريفه الثاني للأدب فيقع ضمن منظور الجمال، أي جعل اللغة معيارا في تحديد الأدبية، وبذلك فالأدبية عنده تكمن في عنصري الخيال وجمالية اللغة فلحمة الأدب اللغة وقوامه الخيال و للأسلوب دور أساسي في تحديد الأدبية، فالعمل الأدبي عبارة عن نسيج يحكمه أسلوب معين، ذلك أن النص الأدبي لا يصنع بالاستناد إلى سلسلة من العناصر التي تنتمي إجمالا إلى الأدبية بل بالعودة للأسلوب أو نمط الكلمات المستعملة.

---

[1]- ينظر: تزفيطان طودوروف، الشعرية،تر شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، سلسلة المعرفة الأدبية، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، ط1،1987، ص 14.

[2]- سمير بن نابت، مفهوم الادبية في النقد المغربي القديم، مذكرة ماجستير تخصص الشعرية العربية، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة سنة 2012، نقلا عن تزفيطان تودوروف، الإرث المنهجي للشكلانية(علاقة الكلام بالأدب، ضمن كتاب تزفيتان تودوروف وآخرون: في أصول الخطاب النقدي الجديد، تر أحمد المديني، سلسلة المائة كتاب، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر بغداد، ط1، 1987، ص12.

وقد عني رولان بارث Roland Barthes بدراسة اللغة الأدبية باعتبارها سياج الأدب الخاص به، فما يميز الأدبية عن غير الأدبي هو اللغة والانزياح عن اللغة المعيارية شرطا في تحقيق لغة الأدب ومن ثم الأدبية.

يلاحظ أن مختلف المقاربات الغربية الحديثة تتفق في الانتقال عن دراسة الأدب إلى تحديد أدبيته، فمحاولات التمييز بين الخطابات الأدبية وفق خصائص معينة خير دليل على ذلك، وخاصة البحث في الطوابع المهيمنة على الخطاب وتحديد قواعده النوعية، لإدراج الملفوظ وفق المعيار الذي يطابق جنسه الأدبي[1].

2-5- المحددات الأدبية في الرحلة:

في بحثنا عن المحددات الأدبية للرحلة أسعفنا الدكتور عبد الرحيم المودن بمقال له بعنوان "رحلة أدبية أم أدبية الرحلة؟"، هذا المقال حاول فيه حصر المحددات الأدبية في المتن الرحلي، ونلخصها في ما يلي[2]:

1- تعد هيمنة بنية السفر على النص من أهم محددات الأدبية في المتن الرحلي، وإن كان السفر حاضرا في كل النصوص حضورا ماديا أو مجازيا، غير أنه يكون بنية ثانوية بالقياس إلى بنية مركزية فمثلا الرحلة في الشعر يكون السفر فيها بنية ثانوية ولأجل ذلك يصبح النص قصيدة دون أن يكون رحلة.
2- أن يكون السفر قصديا، ذلك أن القصيدة فيه تجعل النص الرحلي حاملا لخصائصه النوعية سواء على مستوى المسار العام للرحلة "l'itinéraire" أو على مستوى علاقة النص الرحلي بالنصوص الأخرى، وفي المقام يقول عبد الفتاح كليطوا السفر يسمح بالتصفيف وهو في الوقت ذاته يمكننا من تلمس خصائص الكتابة، مادامت الرحلة نوعا أدبيا يقلص من دور المصادقة ويقدم لنا بقدر كبير قواعد إنتاج النص وقواعد تلقينه معا.

---

[1]-ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الحطاب(دراسة في النقد العربي الحديث تحليل الخطاب الشعري والسردي) ج2، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، د.ط، 1997،ص 87-ص88.

[2]- عبد الرحيم المودن، رحلة أدبية أم أدب الرحلة،مجلة فكر و نقد ع20، يونيو 1999 ، نقلا عن www.aljabriabed.net/n20_09mudan

3- لا يقتصر السفر على فعل الارتجال فحسب بل إن السفر يعاد على مستوى الكتابة فينتج لنا السارد الجوال le nonoteurombulant الذي يتجول بسرده في الأمكنة ومتكئا على الوصف الذي يعد أحد اللبنات التي أسهمت في إدخال أدب الرحلات ضمن فنون الأدب العربي كما ينص على ذلك "حسين محمد فهيم" في قوله "ونظرا لارتقاء الوصف في كثير من أعمال الرحالة وبلوغه حدا كبيرا من الدقة، علاوة على الأسلوب القصصي السلس والمشرق، أدخلت أدبيات الرحلات متعة ذهنية كبرى" وهنا نود الإشارة إلى أن أدب الرحلات العربية كان فضاء واسعا لاختيار ما صار يسمى في أدبيات الكتابة الغربية المعاصرة (جماليات المكان أو شعرية الفضاء) "poétique de l’espace".

4- من خصائص الكتابة الرحلية تقديم الخلفية الأنثروبولجية للموصوفات ذلك أن الرحالة لا يكتفي بتقديم المرئي أو الآتي، بل ينطلق من الوصف المباشر بواسطة حركة ارتدادية سترجع تاريخه الموصوف وتحويلاته.

والحقيقة أن هذه الخاصية لا يمكن أن نسلم بها على علاقاتها، إذا قلنا يحدث ذلك بل ربما الحقيقة أ م كان حصرها فقط في الرحلات الحديثة، أما الرحلات القديمة فقد كان هم أصحابها ارتياع الآفاق واختراق المجاهيل بحثا عن المغاير، فلا يمكن لهذه الخاصية أن تستقيم معها، لأن واقع هذه الرحلات التركيز على حاضر المكان دون الغوص في حفرياته التاريخية .

5- كما استطاعت الرحلة حسبما ذهب إليه عبد الرحيم المودن دائما أن تحقق سرديا تضافر مكونات السردية الصادرة عن مستويات ثلاث:

المستوى الأول:

السارد شخصية مركزية وميزته الأولى أن يكون قيما على إنتاج القول في كل مراحل الرحلة، إضافة إلى صنع أحداث الرحلة وتنظيمها في مسار معين، والقيام بدور التأويل وتوزيع مناطق الكلام والحدث على باقي الشخصيات المرافقة للرحالة، وقد لا تتردد الشخصية المركزية في بداية نصها الرحلي بالتعريف باسمها ولقبها وموطنها الأصلي، والأداة المستعملة في الارتحال إضافة إلى الكشف عن

أسماء الشخصيات، ومما لاشك فيه أن اهتمام السارد بمرجعية المشاركين في إنتاج الرحلة يعود بالدرجة الأولى إلى جوهر الخطاب في المتن الرحلي، هذا الخطاب الذي يحرص فيه سارده على قول الحقيقة ولابد من الإشارة إلى أن الحقيقة تنطلق من رؤية السارد كما أنها تعود إلى كيفية الرؤية عند المتلقي أو المسرود له.

المستوى الثاني:

مما لاشك فيه أن ارتباط هذا المستوى بالمستوى السابق له أمر بديهي، ومن ثم فإنتاج السارد يخضع لخصوصية السارد سواء من حيث مرجعيته الثقافية و الإيديولوجية أو من حيث تقنية الكتابة أو السرد، ومن ثم فالسارد في الرحلة يمتلك إستراتيجية تختلف من شخص لآخر، ولهذا فإن زيارة عدد من الرحالين لنفس المكان لا ينجم عنه ذات الخطاب، وقد ارتأى عبد الرحيم مودن أن يمثل لهذا بالحديث عن باريس من خلال رؤى عدد من الرحالة، فهي مثلا عند الشدياق في (الساق على الساق فيما هو الفرياق) مثوى الأبالسة، وهي عند العمراوي في (تحفة الملك العزيز لمملكة باريس) جنة النساء وجهنم الخيل أما بالنسبة لمحمد بن باديس الجعايدي في (إتحاف الأحبار في غرائب الأخبار) المتعة، ونلاحظ الفرق بين هؤلاء الثلاث مما غدا بالباحث إلى أن يدعو من موقع هذا الاختلاف والائتلاف سرديا إلى تأسيس مدرسة متكاملة في الكتابة الرحلية وإن كان الباحث حصر جل اهتمامه على النصوص الرحلية المتعلقة بالأدب المغربي الحديث خلال القرن 19 أو ما يسمى يعصر النهضة، تلك التي تناولتها نازك سابا يارد في كتابها الرحالة العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، لما تميزت به هذه الرحلات من خصائص سردية تدعو إلى الاهتمام.

المستوى الثالث:

يتمثل في الضمائر ويعد المستوى مكملا للمستويين السابقين. استنادا لخطاب الحقيقة المشار إليها، وتأرجح الرحلة عادة بين ضميرين هما المفرد والجمع دون أن يمنع ذلك من فردانية المتكلم، ويمكن حصر طبيعة هذا الاستعمال لهذه الضمائر في:

1- الملكية الرمزية للنص المتمثلة بواسطة الضمير المفرد، بعد أن سطر الرحالة ملكيته المادية في ديباجة النص من جهة ونهايته من جهة ثانية وذلك عن طريق ذكر اسم العلم الحقيقي وللتنبيه أن البداية والنهاية تنتميان إلى خارج النص مما دعا ملكية رمزية مغايرة.

2- المسلم به في النصوص الرحلية أن استعمال ضمير الجمع إنما يكون الهدف منه إشهاد الآخرين على المرويات، خاصة إذا علمنا أن قسما لا بأس به من هذه المرويات يسمو بنا إلى عالم آخر يعج بالقصص عن زنوج إفريقيا وعرائس البحر وآكلة لحوم البشر، وسكان نهر الفولجا وأساطير بحرية كثيرة يقف المتلقي أمامها في حيرة واندهاش لما تحتويه، وفي هذه الحالة أيضا يمكن أن يظهر الضمير الغائب بجانب الصوت الحامل للاسم الصريح.

3- يتم تقديم الصوت المفرد وصوت الجمع بالصياغة النحوية المجردة، وفي حالة وجود صياغة سردية معينة تعكس موقفا محددا فإن ذلك يتم لصالح المفرد، ثم إن حضور هذه الأصوات في الرحلة هو على قدم المساواة بين الأحياء والأموات، وثم حضرت أصوات الرحالة السابقين من ابن جبير وبن بطوطة إلى الطهطاوي...إلخ بجانب الذين انتقاهم الرحالة من رواة الأمكنة المرتحل إليها.

6-أقسام أدب الرحلة:

يمكن أن نقسم أدب الرحلة إلى قسمين:

القسم الأول: رحلة واقعية و رحلة خيالية و رحلة أسطورية

القسم الثاني: رحلة شعرية و رحلة نثرية

1- الرحلة الواقعية و الخيالية:

الرحلة الواقعية هي رحلة قام بها الرحالة حقيقة، ووقعت "ضمن مكان وزمان معينين، ونتقل فيها الرحالة من مكان جغرافي محدد إلى مكان جغرافي آخر"[1]، وهذا النوع هو الذي يشمل أغراض الرحلة فنجد منه الرحلة السياسية والاقتصادية أو التجارية والدينية

[1]- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب،د.ط، 1997، ص205.

والعلمية و المغامراتية، والرحالة هنا ينقل لنا ما شاهده في البلاد التي زارها بدقة، كونه تنقل بجسده حقا فيها.

أما الرحلة الخيالية هي من نسيج خيال الكاتب، تحدث ضمن مكان وزمان متخيلين"يقوم بها الإنسان في مناطق غير حقيقة وتصور مغامرات خارقة بقصد التسلية وإثارة الخيال. مثال ذلك رحلات سندباد البحري"[1] ، و الرحالة يطلق مشاعره و أفكاره لتنقله "بعيدا عن واقعه و عالمه إلى أماكن أخرى، و أزمنة متباعدة"[2]، ولعل هذا ما دفع بشوقي ضيف إلى القول بأن "الإنسان ولد راحلا، و إن أعجزته الرحلة تيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال"[3]، لأن الرحالة عندما يسرد لنا الأحداث يمزج لنا الواقع بالخيال. و بعبارة أخرى، إنه "يتخذ أساسا من الواقع ثم يدبر حوله وقائع مبتكرة، كما فعل القصاصون الشعبيون مع رحلتي الإسراء و المعراج"[4].

و يعد أندريه جيد* واحد من هؤلاء الرحالين، إذ انطلق "من عالم الواقع، و انتقى منه الانطباعات المؤثرة القوية، و مزج ذلك بخياله الخصب الخلاق فأخرج لنا تركيبا رائعا تتحد فيه روحه بالعالم، و تطغى عليه حياة جياشة بفضل ذاتيتها المتدفقة"[5]،ويمكن أن نميز في الرحلة الخيالية بين نوعين:

أ-الرحلة العمودية:

تشمل رحلات المعارج إلى عالم الغيب، وتصور مشاهد العذاب والنعيم، نجد منها كتاب التوهم للمحاسبي، ورؤية مشاهد محاسبة الشعراء والأدباء كرسالة الغفران لأبي العلاء المعري في رده على رسالة ابن القارح في عوالم أخروية، إنها رحلات ترتكز على

---

[1]-مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، ص 176.
[2]-حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص166.
[3]-شوقي ضيف، الرحلات،ص7.
[4]-حسين نصار، أدب الرحلة، ص49.
*- رحالة فرنسي تعددت رحلاته و كثرت خاصة باتجاه شمال إفريقيا خلال الفترة الممتدة ما بين (1893-1951).
[5]- نادية محمود عبد الله، الرحلة بين الواقع و الخيال في أدب أندريه جيد،مجلة عالم الفكرع4،مارس 1983، ص118.

مجموعة من الأحداث تنقل تصورا معينا عن العالم الآخر، على اعتباره "أنموذجا يدرسه الحقل الإنساني بحد ذاته كحقيقة تنشأ من صراع الإنسان الدائم مع ذكر الحياة والموت"[1] .

ونجد أن رحلة الإسراء والمعراج التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وبعدها إلى السموات العلى تعد أول رحلة إلى العالم الآخر، وهناك رحلات أخرى أخذت طابع الحلم كسمة أساسية كرسالة الطير لابن سينا، وسير العباد إلى المعاد للنسائي، ورسالة الطير للغزالي، وتتمحور أفكارها حول الصعوبات التي يواجهها أصحابها في طريقهم إلى الله عز وجل، وهذه الرحلات بعض منها موضوعي يرمي إلى مجاهدة النفس ومكابدة الصعاب لبلوغ الكمالات، أضف إلى ذلك اشتراك قصصها مع اختلاف الهدف.

وقد ظهر هذا النوع في العصر الحديث حيث أن غرضه الإصلاح ونذكر من أصحابه"محمد إقبال بصحبة جلال الدين الرومي حيث التقيا في كوكب عطارد جمال الدين الأفغاني"[2]، وبالتالي هذا النوع واكب التيار الإصلاحي كموضوع مطروح .

ب-الرحلة الأفقية:

هي موجودة قديما وقد سارت مع الفنون الأخرى، وتصور ما يشاهده الرحالة من خلال الرحلة كالمسعودي (مروج الذهب) في رحلاته إلى المشرق وأوربا الشرقية، وبالإضافة إلى كونه كاتبا في التاريخ والجغرافيا، كما أن رحلة حي بن يقضان هي رحلة باتجاه الخلوة إلى " عالم متخيل مثلها مثل رحلة روبنسون كروزويه"[3] ، وغرضها معرفي فلسفي، ترمي إلى إثبات قدرة الإنسان على الارتقاء في المعرفة من المحسوس إلى المعقول للوصول إلى مرحلتي التجلي والاتصال، والتصديق بأن" الروح من حيث الجوهر واحدة وإن تفرقت في

[1]- عبد المالك قجور، القصة ودلالاتها في رسالة الغفران وحي بن يقضان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، د.ط، 2010، ص 78.

[2]-طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة العربية بيروت، د.ط، د.ت، ص 138-ص139.

[3]- حسن محمود عباس، حي بن يقضان وروبنسون كروزوي دراسة مقارنة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 1983، ص 72.

أجسام كثيرة وهي رمزية تقصد العقل العقال غير المتغير[1]، تتأسس على الحوار مع شخصيات معينة وأبعاد فلسفية جدلية تتطلب الدقة في التغير والتأثير من أجل "بناء الأفكار أو تشكيل تأملات تخذ أشكالا متعددة للتغير"[2].

2- الرحلة النثرية و الشعرية:

إذا كنا نقصد بأدب الرحلة ذلك الفن النثري الذي يتخذ الرحلة موضوعا له. فإن هنالك كذلك رحلات شعرية كان لها صدى و اهتمام من قبل الدارسين لا سيما الشعر الملحون.

ولقد حاول أبو القاسم سعد الله الوقوف عند بعض هذه الرحلات الشعرية (الجزائرية)، سواء المكتوبة بلغة فصيحة أو المكتوبة بلغة عامية (الشعر الملحون). ومن الرحلات الشعرية المكتوبة باللغة الفصيحة قصيدة محمد بن محمد منصور العامري التلمساني (ق18)، و قصيدة محمد بن مسائب التلمساني التي تندرج ضمن الشعر الملحون[3].

7- مميزات أدب الرحلة:

إن تعدد أنواع الرحلة جعلها تشغل اهتمام العديد من الدارسين، و إن كان هذا الفن لا يزال يحتاج إلى دراسات من جوانب عدة نتيجة لما حظي به من ميزات و خصائص، فأهم ما يميزه هو الشمول و التنوع، و هذان الملمحان يميزان جل ما دون و حرر في أدب الرحلة، فهو يشمل "التاريخ والجغرافيا والدين والاجتماع والسياسة. كذلك فإنها تعنى بالوصف الدقيق، والتصوير الأمين والنقل الصادق، بدافع تحري الدقة تحريا علميا موضوعيا، وهي عندئذ تتجلى بالابتعاد عن الهوى والليل والغرض الذاتي"[4].

[1]-عبد الملك قجور، القصة ودلالاتها في رسالة الغفران وحي بن يقضان ، ص 114.
[2]- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي التجنيس آلية الكتابة خطاب المتخيل، دار رؤيا للنشر والتوزيع القاهرة، ط2، 2006، ص 164.
[3]- ينظر:أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830) ج2، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 1998، ص388 وما بعدها.
[4]-سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما و حديثا، ص 09.

هذا فيما يتعلق بالشمول، أما التنوع فيتمثل أساسا فيما يزخر به من مواد ذاتية غنية "فهو تارة علمي وتارة شعبي، وهو طورا واقعي وأسطوري على السواء، تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة، لذا فهو يقدم مادة دسمة متعددة الجوانب ليس لها مثيل في أدب أي شعب معاصر للعرب"[1].

8-قيمة و أهمية أدب الرحلة:

إن الرحلات تعرض جميع نواحي الحياة أو تكاد تتوفر فيها مادة وفيرة مما يهم الجغرافي و المؤرخ و عالم الاجتماع و مؤرخ الأدب...، فالرحلات منابع ثرية لمختلف العلوم و هي بمجملها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ، فالرحالة أثناء رحلته يعطي مظاهر مختلفة في الحياة يشاهدها أو يسمعها و ينقلها في رحلته ، ولاشك أن الرحالين يختلفون فيما بينهم في درجة ملاحظاتهم و درجة تفكيرهم، ومهما يكن من اختلاف و تباين بين الرحلات ، فللرحلات قيمتان عظيمتان :قيمة علمية و أخرى أدبية[2].

8-1- القيمة العلمية:

تكون في معظم ما تحويه هذه الرحلات من معارف جغرافية و تاريخية و اجتماعية و اقتصادية....الخ، مما يدونه الرحالة تدوين المعاني في غالب الأحيان جراء اتصاله المباشر بالطبيعة و الناس خلال رحلته، إن الرحالة يمثل دور الناقل لهذه الظاهرات بين أيدي الجغرافيين أو المؤرخين أو علماء الاجتماع كل حسب تخصصه، فهو عندما يصف الممالك و الأسقاع و الأقاليم و المدن و المسالك ، و يتحدث عن المناخ و الطبيعة وعن ظاهرة توزيع السكان مما يعتبر من صميم الدراسات الجغرافية، فيعتبر من هذه الناحية مرجعا أساسا و معينا كبيرا للعالم الجغرافي و مثل ذلك يمكن أن يقال في الرحلة بالنسبة لباقي العلوم.

ومن العلوم من مرت بمراحل مختلفة قبل أن تصل إلى ما هي عليه اليوم من دقة وتحديد و ضبط، وقبل أن تتخذ صفة العلم القائم بذاته بفضل تقدم العقل البشري و أدواته

[1]- كراتشوفسكي اغناطيوس يوليانوفيتش، تاريخ الأدب الجغرافي، ص 28.
[2]- ينظر:حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص7-ص6.

العلمية ، فعلم الجغرافيا مثلا امتد قديما الأسلوب الوصفي الأدبي كما كان يستقي موارده من مصادر الأدب و التاريخ و علم الاجتماع و الاقتصاد ، حيث مزجوا بين هذه العلوم جميعا و ربما مزجوا بينها و بين الخرافات و الأساطير فأتت كتبهم محتوية على كل طريف وممتع[1].

2-8- القيمة الأدبية:

وتتجلى في الرحلات من خلال ما تعرضه في موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب و ترقى بها إلى مستوى الخيال الفني، و برغم ما يتسم به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب كالسرد القصصي و الحوار و الوصف، فان أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى، مما حذا بالدكتور شوقي ضيف إلى اعتبار أدب الرحلات عند العرب "خير رد على التهمة التي طالما أتهم بها الأدب العربي تهمة قصوره عن فن القصة" ، وقد أفاد أدب الرحلات من غنى موضوعاته في صرف أصحابه في غالب الأحيان عن اللهو و العبث اللفظي و التكلف في تزويق العبارة إيثارا للتعبير السهل المؤدي للغرض لنضجه بغنى تجربة صاحبه، وهذا ما يفتقده كثير من الأدباء والمحترفين في بعض عصورنا الأدبية ، ولا يعني هذا أن الأسلوب في هذا الأدب قد تخلص من كل الصفات و العيوب الأسلوبية الأخرى فهو يعتمد السجع أحيانا :"فلقد أثار هذا الأدب اهتماما بالغا بسبب تنوعه و غنى مادت فهو تارة علمي و تارة شعبي وهو طورا واقعي أسطوري على السواء تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة لذا فهو يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد مثيل لها في أدب أي شعب معاصر للعرب..."[2].

هذا يعني أننا نستطيع التعامل مع أدب الرحلة من عدة جوانب مختلفة كالجانب التاريخي ، الجانب الاجتماعي و الأنثروبولوجي ...الخ.

1-ينظر، حسني محمود حسين، أدب الرحلة، ص7-ص8.
[2]- المرجع نفسه، ص8-ص9.

9-مكونات الأسلوب في أدب الرحلة:

1-9- السرد:

وهو من المميزات التي تقوم عليها الرحلة فأي كتابة رحلية لا يمكن أن تستغني عنه ما دامت تنقل إلى المتلقي أحداثا و أفعالا قام بها الرحالة ابتدأ من نقطة الانطلاق ثم العودة إليها "ولعل جسد الرحلة يتمثل في السرد الذي يعطي للرحلة شرعيتها الأدبية"[1].

فالرحلة تقوم على الحركة التي تشترك فيها جماعة من الناش أو قد يتفرد فيها الرحالة بنفسه فهذه الحركة يتحكم فيها عنصران مهمان هما عنصر الزمان و عنصر المكان، والرحالة يسرد لنا كل وقائع الرحلة فيذكر كل حادثة مرت عليه في زمانها و السرد في النص الرحلي هو سرد واقعي قائم على المشاهدة و المعاينة و الملاحظة، و ليس من تأويل الخيال حتى لا تعتبر حوادث الرحلة مجرد خرافات و أساطير و السرد هو تلك الإعادة لمسيرة الرحلة، و الذي يبدأ مع الرحلة و ينتهي بنهايتها "لأن العملية السردية هي تحويل الأحداث و الوقائع من تجربة معيشة إلى سرد مكتوب من تحريفات و إضافات و إهمال و تقريرية"[2].

فالسرد هو النقل المباشر للأحداث و الوقائع التي عاشها الرحالة و تحليلها و معالجة أوضاعها. فلغة السرد نجدها عند معظم الرحالة لغة بسيطة تخدم غرض الرحلة كابن بطوطة بالرغم من انه لم يقم على كتابة رحلته بنفسه إلا أن سرد الأحداث جاء بسيطا بساطة شخصيته ،حيث حاول من خلال رحلته نقل حقائق و مشاهد عايشها بنفسه ،و نفس الشيء بالنسبة للطهطاوي الذي انبهر بباريس، فجاء سرده للحقائق بسيطا لا غموض فيه ،كذلك نفس الشيء عند ابن جبير ، فكل رحالة من هؤلاء و غيرهم كان يقوم مقام السارد الذي يقف شاهدا على أحداث و أفعال عايشها.

---

[1]- عيسى بخيتي ، جمالية المشهد في أدب الرحلة الجزائري الحديث ، مذكرة ماجستير ، إشراف محمد مرتاض ، جامعة تلمسان ، 2011 ،ص77.

[2]- المرجع نفسه ،ص78.

2-9- الوصف:

يطغى الوصف على النص الرحلي فكل رحلة تخلو من الوصف قد لا ترتقي إلى مصاف الأدب، لأن الوصف هو المحرك الأساسي وهو الذي يشعل لهيب الإحساس عند الرحالة عند كتابته للرحلة فيزاوج بين السرد الذي يكون بالحديث عن الفعل في الزمان والوصف الذي يشمل المكان و الأشخاص و الأشياء "فالسارد في الرحلة اذن يصف ليسرد و يسرد ليصف"[1].

والوصف ليس ثابتا في كل الحالات قد يتراوح من شخص إلى أخر تتحكم فيه طبيعة العصر و طبيعة الحالة النفسية للرحالة، كابن خلدون الذي عاش في عصر كثرت فيه الصراعات و الحروب، فتجد ملكة الوصف قد خمدت عنده، وذلك راجع لطبيعة حالته النفسية ،فهو لم يصف لنا كل المشاهد و الأحداث التي عايشها، فقد اقتصر وصفه على القاهرة أثناء رحلته للحج فيقول:"...رأيت حضرة الدنيا و بستان الألم ،و معشر الأمم، ومدرج الذر من البشر و إيوان الإسلام و كرسي الملك تلوح القصور و الأواوين في جوه و تزهر الخوانك و المدارس بآفاقه و تضيء البدور و الكواكب من علمائه وقد مثل بشاطئ نهر النيل نهر الجنة و مدافع مياه السماء يسقيهم النهل و العلل سيحه و يجبي إليهم الثمرات ...ومازلنا نحدث عن هذا البلد و بعد مداه في العمران و اتساع الأحوال"[2].

فهو يحج بيت الله ولا يذكر لنا سوى طريق الذهاب و العودة، فلم يصف لنا مكة المكرمة أو أي مشعر حرام بالرغم من قدسية و عظمة المكان، فأي إنسان زار الكعبة إلا ووصفها ليشوق الناس لزيارتها و التبرك بها، ومهما يكن سيظل الوصف حتى ولو لم يرق إلى المستوى المطلوب الصورة الحية التي تعكس شخصية الرحالة و شخصية المجتمع لى وجه العموم.

---

[1]-عيسى بختي، جمالية المشهد في أدب الرحلة الجزائري الحديث ،ص78.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف ابن خلدون و رحلته غربا و شرقا ،دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان، د.ط، د.ت، ص264-ص265.

3-9- الاستطراد:

إضافة إلى السرد و الوصف اللذان يشكلان العصا المحرك للرحلة، هناك عنصر آخر لا يقل أهمية عنهما وهو الاستطراد الذي لا يخلو النص الرحلي منه، كونه المادة الدسمة التي تبنى عليها موضوعات الرحلة ، فالرحالة لا يذكر لنا حادثة شاهدها أو عادة أثارت إعجابه أو تساؤله، بل نراه يندفع وراءها فيشرحها و يذكر أسبابها، وهذا بلا شك راجع لثقافته و معارفه المتنوعة التي امتلكها من خلال احتكاكه مع أناس آخرين جمعته بهم الرحلة، فالاستطراد يزيد من جمالية الرحلة حتى لا تبدو جافة"وقد اعتبر في بعض العهود الأدبية مظهرا من مظاهر الشمول الثقافي"[1].

فهو حلقة وصل بين أحداث كانت في الماضي و أخرى موجودة في الحاضر، يحاول من خلاله الرحالة الربط بين هذه الأحداث حتى لا يفصل الماضي عن الحاضر، فنجد ابن خلدون عندما تحدث في رحلته عن يتمورلنك و مفاوضاته له فذكر لنا شخصية محمود تيمور بأنه يصعب التفاهم و التفاوض معه، لكن بذكاء و حنكة ابن خلدون استطاع أن يحلل شخصية الرجل فعرف كيف يتعامل معه، و بالتالي وصل إلى الهدف الذي رسمه وهو التفاوض معه حتى لا يغير على مصر، ونفس الشيء بالنسبة لابن جبير فعند زيارته للمسجد الأموي بدمشق شاهد أناس يقومون بطقوس دينية منافية لتعاليم الإسلام فاستغرب لهذا الأمر، فهو لم يقف عند هذه الحادثة بل راح يبحث عن سبب ممارسة هذه الطقوس لأنها لا تخدم تعاليم الإسلام.

و إلى جانب هاتين القيمتين، بإمكان أدب الرحلة أن يحقق قيمة أخرى لا تقل عن القيمتين السابقتين ألا وهي القيمة التعليمية، فان كان الرحالة يقدم لنا معلومات تاريخية وجغرافية و اقتصادية و اجتماعية و ثقافية تكون بمثابة عون لكل عالم في مجاله واختصاصه من جغرافي و مؤرخ و اجتماعي...، فإن هذا الرحالة يستفيد هو الأخر من هذه الرحلة إذ يتعرف على الكثير من المعلومات التي تخص البلد الذي زاره من خلال مخالطته للناس، كما أنه يستفيد من العلماء الذين جالسهم و تحاور معهم ، مع اكتسابه

[1]-عيسى بخيتي ، جمالية المشهد في أدب الرحلة الجزائري الحديث ،ص82.

للخبرة والتجربة . إذ يحصل على علم وافر وتجارب كثيرة في مختلف الميادين في التربية و أساليب التعليم و التهذيب، نظرا لما يصادفه أحيانا من المصاب وما يؤكد ذلك أن الراحل حين يعود يعمل في التدريس كما يكلف بالقضاء و مهام أخرى[1].وهنا تبرز القيمة التعليمية للرحلات، فهي:"أكثر المدارس تثقيفا للإنسان، و إثراء لفكره و تأملاته عن نفسه و عن الآخرين"[2].

فبهذه القيمة سيكون لأدب الرحلة ثلاث قيم: قيمة علمية، قيمة أدبية، قيمة تعليمية

[1]- ينظر : نوال عبد الرحمن الشوابكة،أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري،ص53.
[2]- حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات،ص19.

** الفصل الثاني **

تلمسان و كتاب عبر الجزائر

10-المدينة العربية و الرحالة الفرنسيين

11-المدينة الجزائرية و الرحالة الفرنسيين

12-تلمسان دراسة وصفية تاريخية

13-تلمسان عند الرحالة العرب و الغرب

14-تعريف بالرحالة و رحلته.

15-تلمسان و كتاب عبر الجزائر لبول بورد

** المبحث الأول **

10-المدينة العربية و الرحالة الفرنسيين:

بدأ اهتمام الغربيين ببلاد الشرق منذ القدم و ذلك لعدة اعتبارات، فمنهم من قصدها مستطلعا حال بلدانها و آثارها، دارسا لغتها و تاريخها، و صنفوا في ذلك كتبا و كتبوا مقالات و وضعوا خرائط ، و منهم من وجه اهتمامه إلى مصنفات الأقدمين، وقد اتسمت أوصافهم بالدقة، حيث نجد كثيرا من تفاصيل المدن العربية، و فحصوا التقاليد و أنماط السلوك و الأوضاع الاجتماعية و الثقافية، و قد نقل هؤلاء الرحالة أثناء تواجدهم بالمشرق ما انطبع في حياتهم، نتيجة لما رأوه في أسفارهم من ناظر طبيعية و معالم حضارية و عادات قومية[1].

ومن الرحالة الفرنسيين الذين تنقلوا إلى البلاد العربية نذكر دولابروكيير و دارفيو و دونيرفال، حيث زاروا كلا من دمشق و القدس و مصر على التوالي، و فيما يلي سنورد ملخصا لأهم ما تم تدوينه من طرف هؤلاء عن المدن التي زاروها:

*دمشق في كتابات دولابروكيير 1314م:

نشرت الدكتورة كارين صابر مقالا تطرقت فيه إلى نظرة الرحالة الفرنسي دولا بروكيير لسوريا و دمشق خصوصا ومن جملة ما وصف به دمشق: "في سوريا بالقرب من مدينة دمشق أطلعوني على المكان الذي التقى فيه القديس بولس بسيدنا يسوع المسيح، و يوجد بيت يودع فيه التجار بضائعهم يسمى "خان برقوق" و أمرٌ إقفال أبواب كل التجار موكل إلى أشخاص في غياب الشمس ثم إعادة فتحها مع شروق الشمس في اليوم الثاني، و يوضع في دمشق و فيما جاورها من الديار المرايا المعدنية التي تضخم الأشياء كالمرآة المحرفة، في الحقيقة لا يمكن لمن يرى هذه المدينة إلا و أن يعترف بأنها في الموقع الأجمل في العالم إنها تقع في وسط سهل خصيب مغروس بأشجار متنوعة دائمة الخضرة و هناك أسواق مسقوفة رائعة تجد فيها كل أنواع الضائع الفاخرة الآتية من الهند، و المدينة مأهولة

[1]-ينظر:عبد الحفيظ بورايو، قسنطينة في أدب الرحلات ، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة،2008/2007،ص41.

بالمسيحيين و المسلمين و اليهود الذين يشغلون مكانا كبيرا مغلقا كما في القاهرة و أما الباقون فهم عمال حرير يقدر عددهم بحوالي أربعين ألفا، ذهبنا لمشاهدة المكان الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل و يوجد أيضا النائمون السبعة، كما يمتلكون حدائق تزيد المدينة جمالا فضلا عن الأشجار الدائمة الخضرة، وهذا ما دفع بعضهم إلى القول بأنها جنة أرضية و يشتهرون بزراعة الكروم التي تمتاز بعناقيد طويلة و جذوع ضخمة فهم يجففون الحبوب و يصنعونها بطريقة تصبح بعدها صالحة لتصديرها إلى أوربا، كما تشاهد الأزهار الجميلة التي تنشر رائحة ساحرة في محيط محلات دمشق"[1].

*القدس في كتابات الرحالة دارفيو1660م:

يتطرق الدكتور أحمد حسين عبد في مقال له بعنوان الأوضاع الاجتماعية و الحضارية في القدس الشريف من خلال الرحالة العرب و الأجانب إبان النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي إلى تصوير مدينة القدس عند الرحالة لوران دارفيو L.DARVIEUX يقول :"في سنة 1071هـ/1660م، ذهب دارفيو لزيارة الأماكن المقدسة و تأدية مراسم الحج في عيد الفصح مع مجموعة من التجار الفرنسيين و الهولنديين ورجال الدين ن الأوربيين ، وقد كان مغامرا اذ حاول دخول مسجد مدينة الرملة التي تقع قرب القدس الشريف رغم أن القائم على المسجد شتمه فلا يحق لغير المسلمين دخوله.

وكان يستعمل المنظار المقرب لمشاهدة المسجد الأقصى من منزل قاضي القدس المطل على ساحة المسجد و أركانه و هو الذي لا يسمح له بالدخول اليه، عندما أراد دارفيو ممارسة طقوسه الدينية و أداء صلواته في كنيسة القيامة في القدس الشريف تعذر عليه انجازها كما يجب لكثرة الحجاج الذين وفدوا في عيد الفصح و الذين تجاوز عددهم أربعة آلاف شخص ما يدل على ازدهار المدينة و ازدياد نشاط الحركة التجارية فيها و الذي يغطي احتياجات النصارى في مواسم أعيادهم.

[1]-ينظر:كارين صابر، دمشق في عيون الرحالة الفرنسيين، مجلة التراث العربي ع114، اتحاد كتاب العرب دمشق، جمادى الثانية1430هـ/حزيران2009م، السنة التاسعة و العشرون، ص273-ص277.

و يصف دارفيو تمرد سكان الخليل و قراها على أمير لواء القدس بقوله" إن المدينة و ضواحيها تتبع حاكم القدس الذي يعين فيها صوبا شيا ، و بعض الجند لجباية ما يخصه من الضرائب، و لكن هذا الشعب ثائر جدا، و لذا من النادر أن يدفع تلك الرسوم دون قسر، و كم من مرة اضطر الصوباشي لطلب النجدة من سنجق القدس(أمير اللواء) حتى يلزمهم على الدفع، و كان أحيانا لا ينجح لان هذا الشعب شجاع و باسل و لا يقهر، مما كان يلزمه على الاتفاق معهم". كما لاحظ دارفيو أن منطقة بيت لحم بدت كأنها خالية من السكان لان الفلاحين هربوا من الأرض و اختبئوا عن أعين حكام القدس النهابين، فالفلاح لم يكن يشعر بأي اطمئنان مطلقا لا بالنسبة لشخصه ولا لأمواله و هذا يبين لنا ان بعض ولاة القدس في بعض الأحيان استبدوا في حكمهم و استغلوا السلطة المنوحة لهم لجمع اكبر قدر ممكن من مال الضرائب غير الشرعية و التي أثقلت كاهل سكان ريف القدس الشريف و مدينتها دون القيام بأي عمل جيد للمدينة و أهلها"[1].

*مصر في كتابات جيرار دو نيرفال1848:

في بداية القرن التاسع عشر (1843) كان نرفال أول من اهتم بالمدينة المصرية من أدباء فرنسيين كثر أمثال شاتو بريون، جوستاف فلوبير، فيكتور هيجو، و ذلك في معالجة فنية رائعة، كانت مدينة الإسكندرية التي وصل إليها من مرسيليا في 15 جانفي 1848م أول مدينة مصرية تراءت له، إلا أن أبنيتها الأوربية خيبت أمله و تركت في نفسه أثرا سيئا، ولم تحظ آثارها خاصة حمامات كليوبترا و عمود الصواري باهتمامه، فسارع بالذهاب إلى القاهرة التي طالما حلم بها و هو شاب و تخيلها كأنها مدينة من مدن ألف ليلة و ليلة،كان الناس في القاهرة يسيرون على الأقدام أو يركبون العربات لأنها وسيلة مواصلات ينفرد بها السادة و من يلوذون بهم، و تتميز حمامات القاهرة بقبابها المملوءة بالثقوب مما يجعلها تشبه السماء، و المستحمون يلتفون في قطعة طويلة من قماش الكتان

[1]- ينظر:أحمد حسين عبد، الأوضاع الاجتماعية و الحضارية في القدس الشريف من خلال الرحالة العرب و الأجانب إبان النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي،مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية،م7، ع3،2012،ص553-ص569.

تجعلهم يشبهون التماثيل القديمة، و يتنقلون من قاعة فردوسية إلى أخرى مجاورة و ألوان شتى من العذاب الجسماني.

و عن الزّي النسائي كتب نيرفال صفحات مطولة ضمنها جزء من كتابة "نساء القاهرة" ومن ذلك قوله: "إن زي النساء الغامض يجعل الحشد الذي يملأ الشوارع أشبه بالحفلة التنكرية ... يسرح الخيال إزاء الغموض الذي يكشف وجوه النساء ولا يمتد إلى مفاتنهن، يفلت أحيانا من الأكمام الفضفاضة المرفوعة فوق الكتف ذراع مرمري شاحب، أو ترى يدا تزينها الخواتم و الأساور الفضية، أو قدما عارية محملة برنة الخلخال، هذا ما يمكن أن تفاجئ به العين...، تعجب به... و أحيانا تبتعد ثنايا الحجاب قليلا، و ترى من خلال الفتحة التي تظهر بينه و بين القناع الطويل المسمى (برقعا) عينا جميلة و شعرا ملفوفا ضيق الثنايا مثلما في تماثيل كليوبترا، و أذنا صغيرة صلبة تهبط منها على الجيد و الخد عناقيد من القطع الذهبية أو الفضية ... عندئذ يشعر المرء بالرغبة في سؤال عيني المرأة المصرية المحجبة، و هذا أخطر ما في الأمر"[1].

11- الجزائر و الرحالة الفرنسيين:

تعتبر الجزائر من البلدان البارزة التي حظيت باهتمام الرحالة على اختلاف مشاربهم، حيث كانت في مفكرة الرحالة الألماني و الإنجليزي و الأمريكي و الفرنسي، إلا أن هذا الأخير جعل منها المادة الأساس في مختلف كتاباته،و ذلك لعدة أسباب لعل أبرزها تقديم العون للبلد الأم، حيث عمل جل الرحالة الفرنسيين ككشافين ساعدوا بلدهم الاستعماري في رسم مخطط إحتلالي واضح المعالم، ونجد من هؤلاء الرحالة الفرنسيين من تطرق إلى الجزائر كبلد جامع و منهم من تطرق إلى المدن الجزائرية على اختلافها، و من هؤلاء الرحالة الذين كتبوا عن مدن الجزائر نجد: هنري دوفرييه الذي وصف بسكرة، و شارل فيرو الذي وصف قسنطينة، وكذلك غي دي موباسان الذي كتب عن مدينة بوسعادة و فيما يلي سنعرض لما دونه هؤلاء الرحالة عن هاته المدن.

[1]-ينظر:عبد الحفيظ بورايو، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، مذكرة ماجستير،جامعة قسنطينة، 2008/2007، ص46-ص47.

*بسكرة في رحلة هنري دوفرييه 1860:

كتب هنري دوفرييه أثناء تواجده ببسكرة عن أهم القبائل الإفريقية المتواجدة في بسكرة و التي سمّاها " القبائل الزنجية الممثلة في المستعمرة الصغيرة في بسكرة"، و يشكل هؤلاء حيا صغيرا من الزرائب المشيدة من جريد النخيل، النساء ترتدي لباس البلاد التي جئنّ منها، في حين اختار الرجال لباس الشعوب التي هم في اتصال بها، ثم توجه بعد ذلك مع أعوان التلغراف لوضع مخطط لدشرة الغالية و التي تقع على حافة الواد، و بالقرب منها توجد بناية رومانية.

في يوم 15 جانفي قام دوفرييه رفقة السيد كولومبو بجولة إلى "حمام الصالحين" للحصول على عينات من الأسماك التي تعيش في الساقية الجارية من الحمام، كما ذكر أسماء بعض النباتات الموجودة بجوار الحمام كالرمث،الخردق، السدرة،أما يومي 16و 17 فتحصل فيهما على خريطة من طرف السيد سكوار،وفي اليومين المواليين وهما 18 و 19 جانفي زار فيهما السيد كولومبو الذي يدير مدرسة عربية فرنسية في بسكرة، و هي مخصصة للفتيان لتعلم اللغة الفرنسية ، و في 01 فيفري 1860 غادر بسكرة بعد أن ودّع كولومبو[1].

*مدينة قسنطينة في رحلة شارل فيرو 1877:

قام الرحالة الفرنسي شارل فيرو برحلة إلى قسنطينة سنة 1877م، فوصف قصر الباي بأنه من البناءات الفاخرة و ليس ذلك لكونه ذا هيئة مهيبة، و لكن بالمقارنة بغيره من الإقامات الفاخرة على أيام العهد التركي ، و عن موقع المدينة يذكر أنها تقع بين جبلين شامخين على مرتفع صخري وعر من كل جهاته، و بأسفلها نقف على نبع مائي ساخن و عن أبوابها يذكر الرحالة أنها ثلاثة، بابان رئيسيان أحدهما قديم جدا يقعان على المضيق و الثالث بجانب الجسر و ركائزهما من الرخام الأبيض. أما حديثه عن السكان فيذكر أنها

[1]-ينظر:عبد القادر بومعزة، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين ج1، دار بن زيد للطباعة و النشر، بسكرة الجزائر ، ط1، 2016، ص51-ص56.

كانت ذات كثافة سكانية، منازلها سيئة أزقتها ضيقة جدا، و بأعلى المدينة من الجهة الشمالية بقايا قصر محاط ببناءات جميلة، وهناك قلعة مملوءة من الداخل بالمنازل بها كمية كبيرة من الحجارة المكتوبة بخط غير مقروء، و في جهة من جهات القصر يوجد عدد من خزّانات المياه العتيقة بوسط الخزّانات حوض مائي مبني بحجارة غاية في الجمال.[1]

*مدينة بوسعادة في رحلة غي دي موباسان1881:

يتحدث غي دي موباسان عن مدن الجزائر عامة من خلال رحلته التي طاف فيها أغلب المدن، و منها مدينة بوسعادة حيث ورغم صغرها إلا أنه يراها واحة غاية في الجمال حيث يقول " تعد واحة بوسعادة رغم صغرها من أجمل الواحات في الجزائر "[2] ،ثم يتحدث عن بني ميزاب و موقعهم على الخريطة الجزائرية حيث أنه حدد موقعهم بـ 150كلم تقريبا عن مدينة الأغواط، كما يشير غي دي موباسان إلى أن القائد "كوين" قد تطرق إلى هذا لمعرفته بالجنوب الجزائري فقد وصف منطقة بني ميزاب وصفا دقيقا في كراسة له يقول: " يوجد في وسط الشبكة تقريبا منخفض متدرج مكون من حزام من الصخور الكلسية شديدة اللمعان و منحدرات وعرة جدا من الداخل ، مفتوح من الشمال الغربي و الجنوب الشرقي بخندقين يسمحان بمرور وادي مزاب"[3].

ثم يتحدث عن قدوم بني ميزاب و استقرارهم بالجزائر، و من خلال ذلك نلحظ جهله التام بالتاريخ العربي حيث ينسبهم إلى الخوارج الذين كانوا في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم، مع العلم أن الخوارج كانوا في نهاية عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ويقول أنهم بعد أن طردهم الرسول صلى الله عليه وسلم من سوريا انتقلوا للإقامة بجبل اسمه نفوسة بطرابلس، ثم ظلوا يتنقلون إلى أن استقروا بأكثر البقاع جفافا و بشاعة، ثم

[1]-ينظر:عبد الحفيظ بورايو، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، مذكرة ماجستير جامعة قسنطينة، 2008/2007، ص140-141.

[2]- غي دي موباسان، رحلة إلى الجزائر، تر،نادية عمر صبري دار ورد للطباعة سوريا، ط1 2007، ص 92.

[3]- غي دي موباسان،المرجع نفسه ص95.

يتطرق إلى المنظر الخارجي للمدينة وكيف أن القباب تكون طبقات من خلال تراكبها وقد شبهها بالمقبرة العربية الشاسعة[1].

ثم يتطرق إلى مكونات المجتمع و أهم مميزاته، و من خلال ما قام بتدوينه نلحظ أن هناك فئتين أساسيتين في هذا المجتمع و هما :اليهود و بنو ميزاب و كلاهما يمارس تجارة تختلف عن الآخر، حيث وصف أن اليهود ساكني هذه المنطقة يتميزون بالرائحة الكريهة منفوخي البطون بالإضافة إلى الخبث في تعاملاتهم التجارية أويمكن القول التجارية الربوية إن صح ذلك ،فهو يقول:"ينادون عليه ليقرضوه مئة فلس مقابل توقيعه على سند "[2].

و يقول أن اليهود كانوا بعد ذلك يقومون بزيادة قيمة القرض كلما تأخر صاحبه في التسديد، فإن تمادى يقايضه على الأرض أو الجمل أو الحمار مقابل التنازل عن الدين فيرضخ العربي لذلك ،ثم يتحدث عن تعامل اليهود مع الجيش الفرنسي أثناء إغارتهم، فهم يشترون منهم قطعان الماشية و الخراف بأبخس الأثمان قد تصل إلى فرنكين للخروف الواحد متحججين بأن فرنسا لا تستطيع نقلها خصوصا على مسافة تصل 300 كلم، ثم يعيدون بيعها لمالكيها الأصليين بمبلغ يساوي أو يفوق العشرين فرنكا كما أن موباسان يعطي قيمة لهذا اليهودي حيث يصفه بـ "سيد جنوب الجزائر كله"[3]

ثم يتحدث عن بني ميزاب ويعرج إلى ذكر بعض صفاتهم الجسمانية، فهم يتميزون بقصر القامة و متانة البنية و أصحاب وجوه مسطحة و متسعة و شفاههم غليظة و عيونهم مغروزة و حواجبهم بالغة الكثافة[4] ،حيث وصفهم بيهود الصحراء ووصفهم بالذكاء و النشاط في ممارسة التجارة، ثم هم أسياد التجارة في شمال إفريقيا ويشير إلى أنهم عند تنقلهم إلى الشمال يجنون ثروة طائلة.

---

[1]- غي دي موباسان،رحلة إلى الجزائر، تر نادية عمر صبري، دار ورد للطباعة سوريا، ط1، 2007 ص95.
[2]- غي دي موباسان،المرجع نفسه ص93 .
[3]- المرجع نفسه ص94.
[4]- نفسه ،ص 94.

ثم يشير إلى حضارة بني ميزاب فيقول :" من حوله الصحراء الجرداء و الموت ، وفي أسفله الحياة و البراهين الدامغة على حضارة متقدمة "[1] ،وقد سماها بالجمهورية يشير إلى أن سكانها يؤمنون بالعمل و الاعتماد على النفس، فالطفل بعد أن يصبح قادرا يذهب إلى البستان لتقديم يد العون و المساعدة ولو من خلال السقي، و يشير إلى انتشار السدود بكثرة في مدينة ميزاب،و يشير إلى أن من العادات المترسخة لديهم احتفالهم بسقوط المطر من خلال الخروج إلى الشارع و إطلاق الأعيرة النارية و الغناء[2].

كما يتناول قضية جوهرية وهي التضامن بين أفراد المجتمع الميزابي فبتضامنهم تمكنوا من تحويل المناطق الأكثر وحشة وفقرا إلى بلد حي مزروع أخضر اللون[3]، ثم يذكّر بوطنية بني ميزاب فهم يمنعون الأوربيون من دخول وطنهم ،ويمنع منعا باتا على الغريب النوم هناك ولو لليلة واحدة[4] ،ويشير إلى عدم وجود فقراء و محتاجين هناك حيث أن تضامنهم منع من ظهور هاته الفئات، ويلفت موباسان الانتباه إلى أنه ورغم الطابع الفلاحي و الرعوي للمنطقة إلا أن سكانها من أصحاب العلم فهم يتقنون القراءة و الكتابة كما يتحدثون الفرنسية و الايطالية و الاسبانية.

في الأخير يصف الأماكن التي صادفها خلال سيره نحو الساحل، ومنها الجبال التي تشبه القصور وهي ترتفع عن السهوب ومن الجبال ما أطلق عليه اسم البليباردو[5] بسبب شكله ويقول أنه قبل وصوله تمكن ضابطان من تسلقه رغم وعورة مسالكه.

12-تلمسان دراسة وصفية تاريخية:

تلمسان من بين أعرق المدن تاريخا و حضارة في المغرب العربي، تزخر بآثار كثيرة خلفتها حضارات الأمم و الشعوب التي تعاقبت على المنطقة، و ظلت شاهدة على

[1]- غي دي موباسان، رحلة إلى الجزائر، تر نادية عمر صبري، دار ورد للطباعة سوريا، ط1، 2007 ،ص 96.
[2]- غي دي موباسان، المرجع نفسه، ص 96.
[3]- نفسه، ص 96.
[4]-غي دي موباسان، المرجع نفسه، ص 97.
[5]- نفسه، ص 97.

عمق ماضيها و عظم شأنها بين المؤرخين و الرحالة و الجغرافيين، فقد قُدِر لتلمسان أن تكون مدينة عظيمة.

أ- الموقع الجغرافي:

تملك مدينة تلمسان موقعا جغرافيا ممتازا مكنها من لعب دور كبير و مهم في منطقة المغرب الأوسط (الجزائر) فقد ذكر صاحب باقة السوسان محمد بن رمضان ساوش أنها: "تقع في الإقليم الغربي من أرض الجزائر. ترتفع عن سطح البحر نحو ثمانمائة وثلاثين مترا (830م) وتبعد عنه نحو 60 كلم"[1]، كما أنها تقع بين خطي طول 1 و 2 غربا وبين خطي عرض 33 و 35شمالا [2]، و يصف البكري تلمسان قائلا: " وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، ولها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها طواحين وهو نهر سطيسف (الصف صيف حاليا) وهي دار مملكة زناتة وموسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الأفاق"[3] وإضافة إلى هذا التمركز تعتبر هذه المدينة من المدن الواقعة في سفح مرتفعات جبلية، فتلمسان " تكسوها من الجنوب غابة كثيفة من شجر الصنوبر الأخضر العطر، وفي شمال المدينة يمتد سهل الحناية الشاسع، المتصل من ناحية الغرب بسهل مغنية، و تبدو تلمسان على مسيرة ثلاثين كلم من الشمال، و في الشمال الغربي يحتجب الأفق وراء مرتفع ترارة حيث يلاحظ الرائي جبال فلاوسن وفي الشمال الشرقي مرتفعات السبعة شيوخ و تاسلة"[4].

وقد مكنها هذا الموقع من السماح برؤية البحر، وأن تتميز بهواء منعش خاص بها هي وحدها لا هو رطب ولا هو حار كما أن "تكوين تلمسان الجيولوجي ساعدها في أن

---

[1]-محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط، 1995، ص09 .

[2]-وهيبة نسرين عبدلي، الشعر الشعبي بمنطقة تلمسان الحوفي نموذجا جمع و دراسة، رسالة ماجستير ، جامعة تلمسان، سنة 2006-2007، ص45 .

[3]- أبو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب، مطبعة دوسلان الجزائر،د.ط، 1965، ص21.

[4]- عبد الله بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط، 1986، ص08.

تكون بمثابة خزان طبيعي كبير تتوزع منه المياه بواسطة ينابيع جمة لا تغيض مياهها الغزيرة التي تجعل إقليم تلمسان الممتد على بضعة أميال حول المدينة ثريا بحدائقه الغناء، و بساتينه الشجراء، و هي عماد ثروة الإقليم"[1]، وفيما يخص التركيبة الجبلية فإن تلمسان تمتلك سلسلة جبلية مكونة من أربع سلاسل جبلية رئيسية وهي من الجنوب إلى الشمال كالتالي: سلسلة جبال تنوشفي، جبال بني إسماعيل، جبال بني عصفور، جبال لالة ستي، وهذه الأخيرة هي التي تشرف على مدينة تلمسان الموجودة في سفحها الشمالي"[2].

كما تكتنز تلمسان سهولا غاية في الروعة، و هي تحيط بها من جهاتها الأربعة و تتميز بخصوبة تربتها أشهرها اثنان: (الحرطون) الواقع في جنوبها الشرقي بين القلعة و العباد و (المنية) الواقعة في شمالها و هذه المساحات و البسائط وما يعلوها كلها بساتين خضراء"[3]، وهي تطل على موانئ هنين و وهران و أرشقول، و تتوفر على عدة مسطحات مائية، فضلا عن الأودية المحيطة بها مثل وادي الوريط و وادي الصفصيف ووادي يسر، وقد جعلها موقعها هذا تفتح أبوابها لتجارة أوربا والمغرب والمشرق وجنوب الصحراء(بلاد السودان)[4].

ب-أسماء المدينة و معانيها:

*أجادير و أقادير و أكادير و أغادير:وهي المدينة التي أسسها بنو يفرن الذين كانوا يقطنون هذه الناحية[5]، و ورد في كتاب بغية الرواد ليحي بن خلدون عن تلمسان " و تعرف

[1]- عبد الله بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، ص09.
[2]-محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، ص33.
[3]-المرجع نفسه ، ص34.
[4]-فريدة قدور، مساهمة الحلي التقليدية في التنمية بمنطقة تلمسان رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، سنة 2011-2012، ص41، نقلا عن فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، المركز الوطني للبحوث، جامعة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2011، ص 21.
[5]-عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ج7، ضبط المتن و وضع الحواشي و الفهارس الأستاذ خليل شحادة، مراجعة د.سهيل زكار ، دار الفكر بيروت لبنان،د.ط، 1421هـ/2000م ، ص24.

بأجادير"[1]، و ذكر عبد الرحمن ابن خلدون أنها بنيت قبل الإسلام[2]، و معنى كلمة أقادير حسب اللهجة المحلية: " الحصن أو الصخرة المنيعة و هي مشتقة من أغادير، أي جدار المدينة الحصين"[3]، فهي مدينة محصنة ذات جدار قديم، و حسب الحموي: "أقادير المدينة القديمة لتلمسان و هي مسورة"[4].

*بوماريا:

وجد هذا الاسم منذ فترة الاحتلال الروماني الذي عرف بسياسته الاستطانية بانشاء قواعد عسكرية ثم مدن ذات تطور عمراني و منها "بوماريا" في القرن الثاني قبل الميلاد[5].

الميلاد[5].

و تعني كلمة "بوماريا" حديقة التفاح[6]، و بمعنى أمم أرض البساتين[7] فهي المنطقة التي تنبع فيها المياه و تنبت فيها الأعشاب و الأشجار فهي أرض الحدائق و بساتين الفواكه، و ترجح الأبحاث الغربية تأسيس مدينة "بوماريا" قبل مدينة "أقادير" أما الدراسات الجزائرية فهي ترى ان التاسيس الاول كان لـ"أقادير" إذ لا يعقل أن تبقى المنطقة بدون تعمير و هي قد شهدت استقرار قبائل بربرية بها و بالتالي لا يمكن أن تبقى بدون اسم[8]،

---

[1]-يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد تح و تع عبد الحميد حاجيات ج1، ش و للنشر و التوزيع الجزائر،د.ط، 1400هـ/1980م ، ص91.

[2]-ينظر:عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،مؤسسة جمال للطباعة و النشر بيروت،د.ط،1979، ص156

[3]-عبد الوهاب بن منصور، تلمسان تحليل لغوي و تاريخي للأسماء التي دعيت بها حاضرة المغرب الأوسط، مطبعة ابن خلدون تلمسان، د.ط، 1365هـ، ص09.

[4]-أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، دار صادر للطباعة و النشر بيروت لبنان، ط2، د.ت، م2، ص44.

[5]-ينظر:محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب سياسة الرومنة 146ق.م/40م، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،ط2، 1985، ص169.

[6]-ينظر:جورج مارسي،مدن الفن الشهير تلمسان تر سعيد دحماني،دار النشر التل البليدة، د.ط، 2004، ص07.

[7]-ينظر:محمد الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2007، ص14.

[8]- المرجع نفسه ، ص12.

وتفسير اختفاء سكانها الأصليين هو نزوحهم إلى المناطق النائية و تحصنهم بالجبال بعد الاحتلال الروماني[1].

*تاجرارت أو تاكرارت:

كانت مع مجيء المرابطين سنة 472هـ/1079م وفتحهم للمدينة سنة 475هـ/1082م و قام الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين ببناء مدينة جديدة غرب أغادير اتخذها مقرا له أطلق عليها اسم تاجرارت، و تاكرارت و تعني المحلة أو المعسكر بلسان صنهاجة[2] وهي التي تمثل اليوم وسط تلمسان و مركزها الجامع الأعظم المرابطي والساحة المحاذية له.

*تلمسان:

هو أكثر الأسماء ذكرا في المصادر على اختلافها فنجده في كتاب "البلدان" لليعقوبي المتوفى سنة 284هـ/897م حيث يقول: "ثم المدينة المشهورة بالغرب التي يقال لها تلمسان و عليها سور حجارة وخلفه سور آخر حجارة و بها خلق عظيم و قصور ومنازل مشيدة"[3]، مشيدة"[3]، و يذكرها ابن حوقل المتوفي عام 380هـ/990م في كتابه صورة الأرض فيقول: "و منها تنمسان مرحلة لطيفة و هي مدينة أزلية و لها أنهار جارية و أرحية عليها و فواكه و لها صور من آجر حصين منيع وزرعها صقي وغلاتها عظيمة ومزارعها كثيرة"[4] ونجد ونجد الحميري يذكرها في كتابه الروض المعطار في أخبار الأقطار فيقول: "تلمسان قاعدة المغرب الأوسط... مدينة عظيمة قديمة فيها آثار كثيرة تدل على أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة... و كانت تلمسان دار مملكة زناتة و غيرهم من البربر وهي كثيرة الخصب والرخاء

[1]-ينظر:عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، د.ط، 2002، ص92.

[2]-ينظر:يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، ص91 و ص170

[3]-احمد بن أبي يعقوب، البلدان وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، دار الكتاب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1422هـ/2002م، ص196.

[4]- أبو القاسم النصيبي ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض، دار صادر بيروت لبنان، ط2، 1938، ص89.

كثيرة الخيرات و النعم"[1] ، وبسط حسن الوزان المتوفى بعد عام 957هـ/1550م في كتابه "وصف إفريقيا" القول عن مملكة تلمسان و حدودها و امتدادها نحو الساحل والمدن المجاورة لها ثم تناول تلمسان المدينة الكبرى فقال: "تلمسان مدينة كبيرة وهي عاصمة المملكة لم يذكر التاريخ مؤسسها و كل ما يقال: إنها كانت مدينة صغيرة بدأت تمتد إثر تخريب أرشكول"[2].

أما عن معنى تلمسان فيروي لنا عبد الرحمن و يحي ابنا خلدون عن أستاذهما الآبلي أن الكلمة بربرية الأصل مركبة من كلمتين "تلم" بمعنى تجمع و "سان" بمعنى اثنين تجمع بين البر و البحر عند عبد الرحمن بن خلدون[3] و تجمع بين التل و الصحراء عند يحي ابن خلدون، و ينطقها البعض بتلمشان و هي مركبة من "تل" و معناها لها و "شان" و معناها شأن أي لها شأن[4]، و جاءت الكلمة بصيغة تلمسين عند ابن الحكم بكسرتين و هو يتكلم عنها سنة123هـ في كتابه فتوح إفريقية و الأندلس، و معناها أرض منبسطة بين الجبال[5] .

جـ- الدراسة التاريخية:

تعد تلمسان من المدن التاريخية الهامة في منطقة المغرب العربي "إذ يظهر أن الناس قد عمروا تلمسان منذ فجر الحضارة الأولى للإنسان، فقد عثر في هذا المكان (تلمسان) على آثار إنسان ما قبل التاريخ"[6]. إذن هي مدينة عريقة موغلة في القدم، عرفت تعاقبا للعديد من الحضارات و الأمم، خاصة بعد الفتوحات الإسلامية، و اختلاط العرب المسلمين مع أهل المغرب العربي و إفريقيا "فلما قدم أبو المهاجر دينار[*] إلى إفريقيا توغل

---

[1]-محمد بن عبد المنعم الحميري، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت، د.ط، 1975، ص135.
[2]-حسن بن محمد الفاسي الوزان، وصف إفريقيا تر محمد حجي و محمد الأخضر ج2، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط2، 1983، ص17.
[3]-عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر ج7، ص156.
[4]-يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، ص85.
[5]-محمد الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر، ص13.
[6]-عبد الله بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم، البستان في ذكر العلماء و الأولياء بتلمسان،ص09.
[*]-هو مولى مسلمة بن مخلد بعثه إلى أفريقيا من أجل فتحها و نشر الدين الإسلامي، وهو يعتبر أول قائد مسلم حمل الإسلام إلى هذه المنطقة.

في ديار المغرب و وصل إلى تلمسان و به سميت العيون القريبة منها بعيون أبي مهاجر"[1].

و قد مرّ على تلمسان العديد من الدول الإسلامية، نبدؤها بالدولة الصفرية أو الحركة الصفرية، و جاءت هذه التسمية نتيجة لأن قبائل يفرن مغيلة اعتنقت المذهب الصفري، وقد حكموا تلمسان بداية القرن الثامن الميلادي حتى نهايته حينما انشقوا عن العباسيين مع حركة انشقاق الخوارج في المشرق و ذلك بقيادة زعيمهم أبو قرة بن دوناس اليفري الصفري من بني مرين[2]، وقد استطاعت هذه الدولة أن تقوي نفوذها فكان يمتد مابين أقادير و تاهرت، و كانت نهاية هذه الدولة على يدي محمد بن خزر بن صولات المغراوي المنتهي إلى قبيلة مغراوة و هذا سنة 170هـ[3] .

و بعد انقراض الدولة الصفرية حلت محلها دولة أخرى أكثر قوة منها في جميع النواحي هي الدولة الإدريسية ، فبعد معركة فخ توجه إدريس بن عبد الله بن الحسين إلى مصر و معه خادمه راشد حتى وصلا تلمسان ، أين أقاما بها أياما ثم توجها إلى المغرب الأقصى[4]، و عند استقراره بهذا البلد و تأسيسه لدولته توجها مرة أخرى ألى إقليم تلمسان. "أين استمال إليه الأمير بن خزر بن صولات الزناتي...الذي مكنه من السيطرة على أقادير سنة 173هـ، فأقام بها أشهرا و اختط مسجدا و منبرا"[5] فأصبحت بذلك تلمسان إمارة تحت لواء الدولة الإدريسة، وقد تداول على حكم تلمسان عدد من الحكام من بينهم محمد بن سليمان، "واستمرت الولاية فيهم إلى أن سقطت سنة 219هـ/834م"[6] وقد مرت تلمسان في في الفترة التي تلت سقوط هذه الدولة بتوترات سياسية و غير مستقرة إلى أن قامت الدولة المرابطية. " و ينتهي المرابطون إلى قبائل صنهاجة التي كانت تستقر بأعماق الصحراء

---

[1]-أبو العباس السلاوي، الاستقصاء لأخبار دولة المغرب الأقصى، اعتنى به محمد عثمان م1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2007، ص71.

[2]-ينظر:محمد الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر ، ص20-21.

[3]-ينظر:إسماعيل العربي، دولة الأدارسة ملوك تلمسان و فاس و قرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط، 1983، ص65.

[4]-ينظر:إسماعيل العربي، المرجع نفسه، ص 25.

[5]-يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ج1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،ط2، 1995،ص212.

[6]-عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ج1، دار الثقافة بيروت، ط4، 1980، ص184.

بأرض موريتانيا الحالية"[1] و عندما ترأس هذه الدولة يوسف بن تاشفين سنة 453هـ، أرسل قائد المزدلي سنة 472هـ إلى المغرب الأوسط الذي استولى على نواحي تلمسان، ثم زحف إليها يوسف بن تاشفين سنة 474هـ ففتح بطريقه وجدة و تلمسان، و أسس مدينة تاقرارت"[2].

لقد توالى على حكم تلمسان عدد من الحكام المرابطين الذين وطّدوا الأمن بالبلاد و وصل نفوذهم إلى مدينة الجزائر، و أشهرهم: "محمد بن تينعميرت الذي تولّى حكمها سنة 475هـ، و أخوه تاشفين بن تينعميرت و لكنه عزل سنة 497هـ، و أخيرا القائد المزدلي و قد تولى أمر تلمسان سنة 497هـ."[3] وقد انتهى حكمهم بالجزائر سنة 539هـ/1145م بعدما قضوا بها 67 سنة، كانت قد نالت خلالها تلمسان استقرارا سياسيا و اجتماعيا، لم تحظ بهما في عهدها السابقة، واستمر ذلك مع دولة الموحدين التي استولت على إرث المرابطين، "فقيام هذه الدولة كان على أساس دعوة دينية إصلاحية و مؤسس هذه الدعوة أبو عبد الله محمد بن تومرت"[4] و بعد وفاته تولى حكم الدولة عبد المؤمن بن علي الذي قام بغزو مدينة مدينة تلمسان عام 540هـ/1145م... و عيّن عليها سليمان بن وانودين، و من بعده ابنه أبو حفص و من جاء في عقبه[5] و بعد أن عهد الموحدون بولاية تلمسان إلى يغمراسن بن زيان قام هذا الأخير بإعلان انفصاله عن الدولة الموحدية واستئثاره بالمغرب الأوسط على غرار الحفصيين في تونس وذلك عام 633هـ وبذلك كانت بداية لإعلان دولة بني عبد الواد (الدولة الزيانية)[6] وعرفت تلمسان في عصر هذه الدولة أقوى فتراتها سواء سياسيا أو اقتصاديا أو ثقافيا و هذا نتيجة للعناية والأهمية التي أولاها السلاطين لهذه المدينة باعتبارها

---

[1]-محمد الطمار، المرجع السابق، ص 30.
[2]-ينظر : رابح بونار، المغرب العربي تاريخه و ثقافته، الشركة الوطنية للتوزيع و النشر الجزائر، د.ط، 1981، ص237-ص238.
[3]-ينظر : رابح بونار، المرجع نفسه، ص242.
[4]- مصطفى ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في عصري الموحدين و بني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط، 1982، ص69.
[5]- ينظر : يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ج1، ص213-ص214.
[6]-ينظر : صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال(المراحل الكبرى)، دار العلوم للنشر و التوزيع الجزائر، د.ط، 2005، ص96.

مركزا مهما لإدارة دولتهم و توسعها و من هؤلاء الحكام و الأمراء المتعاقبين على كرسي الحكم نذكر: " السلطان أبو سعيد عثمان الأول الذي بويع أوائل ذي الحجة سنة 681هـ وهو ابن السلطان أبو زيان ابن السلطان أبو سعيد و تولى الحكم يوم الأحد من شهر ذي القعدة سنة 703هـ ، السلطان أبو حمو موسى الأول الذي تولى الحكم سنة 707هـ، أبو تاشفين بن أبي حمو الأول الذي بويع سنة 718هـ."[1] و بفضلهم أصبحت الدولة الزيانية تمثل خطرا كبيرا على الدولة المجاورة لها (الدولة الحفصية، الدولة المرينية) و تصبح إحدى أطراف الصراع الذي كان قائما على زعامة المغرب العربي، ما جعلها تتعرض لعدد من الحروب و الغزوات خاصة من جيرانهم المرينيين.

و مع تنامي ظاهرة الأطماع الاستعمارية الأوربية استنجد أعيان الجزائر بالأخوين "خير الدين و عروج" لمواجهة الأسبان، فكانت البداية من جيجل ليصل المد العثماني إلى مدينة تلمسان أول مرة تحت قيادة القائد العسكري "عروج"سنة 1517م[2] ، وقد أجمع غالبية المؤرخين الجزائريين على أن مدينة تلمسان فقدت ريادتها إبان الحكم العثماني فكانت وظيفتها الأساسية "حامية عسكرية" على الحدود الغربية للدولة العثمانية بعد سقوطها في يد الاحتلال الفرنسي إلى جانب كونها تمثل مصدرا هاما للمواد الخام الخاصة بالصناعة التقليدية[3]، و بعد توغل الاستعمار الفرنسي في الغرب الجزائري تم تصنيف تلمسان ضمن التنظيم الاداري التابع للقطاع الوهراني، كما قمت بها عدة مقاومات أبرزها مقاومة الأمير عبد القادر حيث كان أول اشتباك مع الفرنسيين في معركة خنق النطاح الأولى ماي 1832م[4]،وقد استمرت مقاومته إلى غاية استسلامه بتاريخ22 سبتمبر 1847م[5]،واستمرت

[1]-ينظر : يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،ص 204-ص215.
[2]-ينظر:المهدي البوعبدلي و آخرون، مآثر تلمسان ماضيا و حاضرا،تح: محمد بوزواوي، القافلة للنشر و التوزيع الجزائر، د.ط، د.ت، ص45-ص47.
[3]-المهدي البوعبدلي وآخرون، المرجع نفسه، ص48.
[4]-ينظر:محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، تع: ممدوح حقي، دار اليقظة الغربية دمشق، ط2، 1964، ص183-ص184.

1847م[1]،واستمرت بعده تلمسان في مقاومة الاستعمار الفرنسي إلى غاية استقلال الجزائر.

13-تلمسان عند الرحالة العرب و الغرب:

لقد حظيت تلمسان باهتمام عديد الرحالة سواء على الجانب العربي أو الغربي، حيث شكلت مادة مهمة في جل كتاباتهم نظير ما تتميز به من مقومات جعلتها تحتل الريادة ،و قد سجلوا ما شاهدوه بها كلٌ حسب وجهة نظره، إذ أن نظرتهم كانت متباينة فقد اكتفى بعضهم بتقديم صورة وصفية لها، بينما عمد آخرون إلى تقديم وصف شامل، في حين ذهب فريق ثالث إلى قصّ ماضيها و وقفوا على ما يثير اهتمامهم، و كثيرا ما كانت هذه الرحلات فاتحة لدراسة أهل المدينة و نفسيتهم و أوضاعهم و من الرحالة العرب نجد:

الحميري حيث يتحدث عنها في كتابه الروض فيقول: "ولم تزل تلمسان على قديم الزمان مخطوبة مرغوبا فيها"[2]، و يصفها ابن الخطيب بقوله: "تلمسان خزانة زرع ومسرح ضرع و فواكهها عديدة الأنواع"[3]، أما البكري فيصفها بقوله: " وهي مدينة مسورة في سفح جبل شجر الجوز... و هذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، و لها أسواق و مساجد و مسجد جامع و أشجار و أنهار عليها طواحين و هو نهر سطيسف (الصف صيف حاليا) و هي دار مملكة زناتة و موسطة قبائل البربر و مقصد لتجار الأفاق"[4]، كما تكلم عنها الإدريسي في كتابه .... إذ يقول: " و مدينة تلمسان قفل بلاد المغرب، و هي على رصيف للداخل و الخارج منه لا بد منها و الاجتياز بها على كل حالة"[5]، كما يشير يحي ابن خلدون إلى غناها بالمياه فيقول: "إذ استعملت مياه ساقية

[1]-ينظر:أديب حرب، التاريخ العسكري و الاداري للأمير عبد القادر الجزائري1808-1847ج1، دار الرائد للكتاب الجزائر،ط3، د.ت، ص44.

[2]- محمد بن عبد المنعم الحميري، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، ص135.

[3]- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج9، حققه إحسان عباس، دار صادر بيروت لبنان،د.ط، 1388هـ/1968م، ص341.

[4]-أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب ، ص76.

[5]-أبو عبد الله الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، د.ط، 1985ص151.

النصراني المجلوبة من الوريط لتشغيل الأرحية، أما مياه عين الفوارة المجلوبة من هضبة لالة ستي فقد استعملت للسقاية العمومية و لتزويد المحلات بالمياه اللازمة لنشاطها"[1]، كما يتحدث عن مناخها فيقول: " تقع تلمسان في الشمال الغربي من الأوسط في الإقليم الرابع من الأقاليم الفلكية السبع، و هو يعد من أشد الأقاليم اعتدالا في المناخ و أكثرها وفرة للنباتات و الحيوان"[2]، و نجد اليعقوبي يذكرها بقوله: " المدينة العظمى المشهورة بالمغرب"[3].

وقد استهوت تلمسان الكثير من الرحالة الغربيين فمنهم من استقر بها و عايش أهاليها و تطلع إلى أحوالهم ، و دونوا ملاحظاتهم في مذكرات و مدونات بالوصف الشامل لتلمسان المدينة و الحضارة ، و من بين الكتابات الهامة ما دونه هؤلاء الرحالة الذين قدموا إلى تلمسان خلال القرن التاسع عشر قبل و أثناء و بعد الحملة العسكرية على الجزائر ، وقد ضمنوا كتاباتهم مختلف الأخبار و الأحوال في الطبيعة و السكان و الحياة الاجتماعية والحرف و الاقتصاد و ما اتصل بالحياة اليومية و نجد منهم:

الرحالة الانجليزي الدكتور شو SHAW الذي يقول:« فتلمسان الواقعة على مقربة من الحدود المغربية في منتصف الطريق تقريبا بين البحر و الصحراء كانت عاصمة للمملكة التي تحمل اسمها ، و هي مدينة بالغة الأهمية... و منذ أن سيطر الأتراك على هذه البلاد فإن تلمسان قد تدهورت و آلت إلى الإنحطاط الكامل و ذلك على الرغم مما لموقعها من مزايا و يحتمل أن عدد سكانها اليوم يقدر بحوالي ثلاثة آلاف نسمة... »[4] ، كما خصص لها الرحالة الفرنسي بارجيس كتابا سماه

---

[1]- يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ،ص10.

[2]- المصدر نفسه ، ص84.

[3]- أحمد بن أبي يعقوب :البلدان ،ص196.

[4]-وليام شالير، نبذة تاريخية عن دولة الجزائر، مجلة الأصالة ع14-15، تصدرها وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية الجزائر، 1973، ص261.

«Tlemcen Ancienne Capitale du Royaume de ce Nom »
حيث كانت رحلته إلى تلمسان عام 1849م و قد تضمنت الرحلة جملة من المعلومات منها ما يخص الجانب التاريخي من الفترة الزيانية و الفترات اللاحقة و كذا الحياة الاجتماعية والاقتصادية و الدينية و حتى السياسية، كما يعرض إلى رصيدها الفكري و الديني والعمراني الذي تعرض للتخريب و التدمير من طرف الاحتلال الفرنسي.

كما نجد عديد المؤلفات الأخرى التي عنت بتلمسان من مختلف الجوانب منها رحلة لومباي التي جاءت في مؤلف بعنوان « En Algérie ;Alger Oran Tlemcen »و كذلك رحلة قلاماقران Glamageran

« l'Algérie impressions de voyage 17 mars-4 juin 1873 » وسنحاول في المبحث الثاني الوقوف على إحدى أهم هذه الرحلات و التي قام بها الفرنسي بول بورد إذ سنحاول عرض أهم ما ورد في هذه الرحلة.

** المبحث الثاني **

14-تعريف بالكاتب و رحلته:

أ-الرحالة:

ولد في فواسان بإيسر يوم 23 ماي 1851 ،.أبوه عاملا في الجمارك بباريس ثم نقل الى الحدود البلجيكية بلافال ممورنسي (آردن).كان هو طالبا في المدرسة البلدية هاري ثم في الاكليريكية الصغرى في شارلفيل ، أين كان مع زملاء الدراسة آرثر ريمبود و الروائي المستقبلي جول ماري ،طرد من الكلية 1867 بعد تآمره مع رفاقه على الهرب (إنهم يخططون للذهاب من خلال الحبشة بحثا عن منابع النيل) وقد اشتغل بورد العمل الشاق في الأرض حيث عمل في سانت بينوات ببيجي أين تم نقل والديه .

كان يتميز بالإرادة القوية وعطشه الجامح للتعلم تحصل على وظيفة صغيرة في ليون أين التقى مع محافظ مكتبة و الشاعرة جوزفين سولاري، كان يريد تحقيق النجاح في باريس لقد كان يضع في مخيلته أن يصبح صحفيا .كانت بدايته في هذه المهنة الأكثر إيلاما ، بعد إعلان الحرب الفرنسية الألمانية ، كان عليه الانخراط في الحرس الوطني حتى لا يموت جوعا ،التقى صدفة مع الكيميائي الكبير مارسلين بارثيلوت ، و قد ساعده في دخول صحيفة "الوقت" و ثمّ اختياره لمرافقة أعضاء البعثة البرلمانية المتجهة إلى الجزائر عام 1879 في مهمة كان الغرض منها نشر مراسلة حول الوضع الاستعماري .

حضر بول بورد احتلال تونس في 1880، ثم سافر الى أوربا ، في 1885 ذهب إلى باكنينه في خليج تونكين ، ثم قام بزيارة تركيا ، روسيا ، اليونان ، النمسا ، المجر ، أقام مؤقتا في كورسيكا ، قدم خلال زيارته لهذه الأماكن مقالات نشرت في جريدة الوقت و غالبا ما جمعت هذه المقالات في مجلد.ليعود في عام 1889 إلى تونس حيث زار العديد من المدن كصفاقس و القيروان ثم عاد بعدها إلى فرنسا و بقي هناك إلى أن توفي في باريس يوم 27 أكتوبر 1914[1]

[1] - www.memoireafriquedunord.net

ب-رحلته:

تضمنت رحلة بول بورد مجموعة من الملاحظات، والذكريات، التي أخذها كاتبها عن رحلته مع النواب الفرنسيين من مرسيليا إلى الجزائر، كونه كان مراسلا صحفيا لجريدة المرشد العالمي (Moniteur universel) بفرنسا، وقد شارك في الجولة النيابية المكونة من ثلاثة أعضاء من مجلس الشيوخ، وواحدٍ وثلاثين نائبا، وثمانيةِ صحفيين، وخمسة كتاب، ولم تأخذ القافلة صفة رسمية، ولذلك استقبلها الشعب الجزائري بحفاوة، وكان الهدف المعلن عنه في بداية الرحلة متمثلا في حصر مشاكل السكان، ومحاولة الوصول إلى حلول ناجعة لتحقيق التنمية في الجزائر، لكن الهدف الحقيقي كان البحث في هوية السكان، واختبار مدى طواعيتهم للحكومة المحتلة، وكذلك تحطيم المجتمع العربي، وإحلال محله مجتمعا آخر، منصهرا في العقلية الأوربية، وقد بدا هذا الغرض في ثنايا الرحلة، عندما اصطدم بالحقيقة الواقعة، وهي وجود فرق شديد بين الفرنسيين والجزائريين، واستحالة زوال الأندجينا، وبالتالي كان يرى وجوب مسخهم، وطمس هويتهم، حتى يسهل العيش معهم[1].

وكان مسار الرحلة واضحا انطلاقا من مرسيليا يوم الثاني والعشرين من شهر سبتمبر عام 1979م، في اتجاه الجزائر العاصمة، لاصطحاب الحاكم العام للجزائر آنذاك وهو م. ألبر جريفي (M. Albert Grévy)، ومن الجزائر توجه إلى عنابة، وقسنطينة، وباتنة، ثم بسكرة، فبجاية، ثم الجزائر مرة أخرى، وفي هذه المرحلة يتوقف مطولا ليخوض في مسائل سياسية خصت الحكم، والتنمية، ومسألة جعل الجزائر فرنسية، وبعدها جاء سرد أحداث السير والسفر إلى مدن الغرب الجزائري، وهي: وهران، وتلمسان، ليعود إلى سيدي بلعباس، ووهران، ومن هذه المرحلة كان الإبحار من مينائها، والمغادرة إلى مرسيليا.

---

[1]- سميرة أنساعد،صورة الأنديجان في الرحلات الفرنسية أثناء القرن التاسع عشر ميلادي، مداخلة بملتقى الثورة التحريرية بجامعة سكيكدة، نقلا عن:
www.univskikda.dz/revolution/index.php?option=com_content&view=article&id=17:2011-09-22-07-19-41&catid=30

وافتتح بول بورد رحلته بحديث مستفيض عن النشاطات الأوربية الاستعمارية المعاصرة، و الموزعة على مختلف دول العالم في إفريقيا، وآسيا، وأمريكا، وأستراليا، والمبرهنة على نجاحها مثلما حدث في الهند، ويافا الفلسطينية، لقد جاء بورد إلى الجزائر بعين المحب لوطنه فلهذا لن يغيب الهدف الاستعماري من باله، فقد زعم أن الأرض للإنسانية جمعاء، وللأجناس العليا الحق في محاسبة الأجناس الأقل منها تطورا حتى انه كان يحلم: أنه سيأتي يوم تتحول فيه كل أراضي المعمورة ملكا للأوربيين ولم يستطع إخفاء طابعي الغرور والتعالي عن كل ما هو جزائري.

وقد خصّ بورد وصف الأطفال البسكريين الواقع سنهم بين الثامنة والثانية عشر لأنه ليس لهم ثروة سوى علبة صغيرة فيها مشطان وعلبة أصغر بها دهان للأحذية، وينتقد ظاهرة كثرة قباب ومزارات الصالحين ومنازل الجزائريين فيصفها بأنها منعدمة النوافذ، وذات أبواب مغلقة يشيع فيها جو مميت، وقد أثارت الدكاكين استغرابه لانخفاض مستوياتها حيث لا تسمح للموجودين فيها بالوقوف مستقيمين، وقد لاحظ أن شوارع قسنطينة موزعة حسب المهن فيوجد شارع لصانعي الأقمشة الصوفية وآخر للحدادين وآخر للخياطين، وهي مهن بدت له بدائية بسيطة لا ترقى إلى مستوى الصناعة الأوربية.

كما وجد بورد مظاهر أخرى في حياة الأنديجان كالجمود وعدم الابتكار، وكان ذلك عند وصفه لصانع زرابي لا يجدد في رسومه ولا في ألوانه، ويقول أن الجالس في سطح مقهى بقسنطينة يستطيع أن تمر على ناظريه في بضع ثوان مختلف أجناس الجزائر وهم يتغايرون في لبس إمّا القندورة أو البرنس باختلاف الألوان، أمّا وجهة نظره حول المرأة الجزائرية فهي لا تخرج عن الإطار السلبي كونها امرأة انعزالية و متخلفة، منعدمة الثقافة ويعلق على الحايك الذي تلبسه أنه ذو لون أزرق قبيح يلف المرأة لفا فلا يظهر منها شيئا[1].

[1]-سميرة أنساعد،صورة الأنديجان في الرحلات الفرنسية أثناء القرن التاسع عشر ميلادي، مداخلة بملتقى الثورة التحريرية بجامعة سكيكدة، نقلا عن:
www.univskikda.dz/revolution/index.php?option=com_content&view=article&id=17:2011-09-22-07-19-41&catid=30

15-تلمسان من خلال كتاب عبر الجزائر لبول بورد:

بدأ بول في وصف رحلته باستعمال أسلوب السرد، منذ انطلاق القافلة من مدينة وهران إلى غاية وصولها مدينة تلمسان، وقد تنوعت موضوعات الرحلة بين وصف عام وإعجاب بالمعالم الأثرية وسرد واقع اجتماعي واقتصادي مرير للأهالي، بالإضافة إلى إشارته للجانب الديني.

تطرق بول إلى وضعية الطرق المهترئة مع وجود الكثير من الحجارة و الصخور وانتشار الغبار حيث يقول:

"SUR une longueur d'une centaine de kilomètres, immédiatement à partir d'Oran, la chaussée installée sur un sol très-meuble et empierrée de cailloux blancs eux-mêmes très-friables, est couverte d'une couche de poussière qui en certains endroits a plus de dix centimètres de hauteur.[1]"

ثم يشير إلى انتشار الحفر في الطريق، وهذا ما صعب من أمر تنقل القافلة، حيث تسبب في عدة مشاكل و متاعب للقافلة:

"On aurait rebâti Carthage en béton rien qu'avec ce que j'ai avalé pour ma part. Une des mules, aveuglée, buta dans un des trous de la route, le cavalier qui la montait roula sous le fourgon qui s'arrêta juste au moment où la roue lui montait sur la figure. Le malheureux eut la mâchoire brisée[2]"

و يصف منطقة عين تموشنت التي مرّ بها، فيعتبرها أحد أكثر مناطق الجزائر غنًا بالكروم، إذ يوجد بها أكثر من ستون هكتارا[3] وهذا لأجل خدمة مصالح فرنسا الاستعمارية.

---

[1] -Paul bourde ; à travers l'Algérie souvenir de l'excursion parlementaire (septembre-octobre1879) G. charpentier ; éditeur 13 rue de gernelle saint-germain ;1880 ; p342

[2] -ibid ; p343

[3] -ibid ;p343

مع بداية دخول بول بورد إلى تلمسان يتحدث عن هواء هاته المدينة، حيث يحس فيه نوعا من الاختلاف عن باقي مناخ الجزائر، بالإضافة إلى إعجابه بالخضرة التي كانت تكسو هضبة تلمسان:

"nous grimpions le plateau de Tlemcen ; l'air était plus vif, l'eau paraissait plus abondante, et la végétation était plus verte et plus vigoureuse[1]"

فالمناخ السائد بمدينة تلمسان متوسطي لقربها من البحر المتوسط، هذا ما يجعله معتدلا، وهذا ما ساهم في نمو عديد الأشجار و النباتات التي أكسبت المنطقة اخضرارا يعجب به كل من يشاهده.

ثم يعبر عن إعجابه بالمعالم الأثرية التي شاهدها بالمدينة فهندستها المعمارية والأندلسية جعلها تحتل حيزا مهما في رحلته:

Nous avons trouvé à Tlemcen ce qui manque aux autres villes algériennes : des monuments. La ville avec ses environs forme comme un musée de l'art mauresque. La plus gracieuse des architectures a produit en Andalousie des édifi ces plus considérables ; elle n'en a pas inspiré de plus parfait que quelques-uns de ceux qui se rencontrent la.[2]

مسجد سيدي بومدين:

يتحدث عن مسجد سيدي بومدين الذي يبعد بضع كيلومترات عن مدينة تلمسان، و يقع فوق ربوة ، حيث أن منارته أو صومعته نسخة من جناح الجزائر في المعرض العالمي في عام 1878م، و أبوابه مرصعة بالنحاس المتقن الصنع، هذا الإتقان جعل من هذا الباب ثابتا محافظا على رونقه و جماله رغم تعاقب الأزمنة، ثم ينتقل إلى وصفه داخليا فيشير إلى وجود أربعة أقواس ،و محراب يشبه ذلك الموجود بمسجد كورداو بباريس، بالإضافة إلى زخارفه الزرقاء و الحمراء اللون التي شكلت فسيفساء جميلة، و وجود ورود

[1]-Paul bourde ; à travers l'Algérie; P343
[2] -ibid ;p243-244

و رسومات هندسية بسيطة تناغمت فيها الألوان مما اكسبه الجمال فصار تحفة في فن العمارة[1] ،كما أن هذه الصومعة ذات علو شاهق حيث تتيح للناظر عبرها مشاهدة الأراضي الخصبة المنتشرة من محيط سيدي بومدين وحتى سهل تافنة:

"Du haut du minaret la vue s'étend sur le fertile pays qui entoure Tlemcen jusqu'à la plaine de la Tafna.[2]"

لينتقل بعدها بورد للحديث عن المساكن الموجودة هناك، فغالبيتها قديمة حيث أثر قسوة الزمن بادية عليها، والسكان ليسوا قادرين على ترميمها بل هم غير قادرين حتّى على العثور على ما يسد جوعهم، و يشير إلى وضع المرأة المزري فهي تعاني من أجل كسب قوتها، مما جعل كل من يراها يشفق لحالها، بمقابل ذلك يشير إلى مزارع الذرة و الفلفل والطماطم المنتشرة في الأرجاء و التي كانت ملكا للمعمرين.[3]

أما وضعية المسجد فهي كارثية حيث انهار جزء من سطحه، وهذا الأمر أزعج حتى المعمرين الذين كانوا يعتبرونه سرحا مهما، حيث سعوا إلى ترميمه من خلال جمع بعض المال بالإضافة إلى مداخيل الصدقات من الزيارات.

المنصورة:

تقع المنصورة في الشمال الغربي لمدينة تلمسان، و يذكر بورد أن مؤسس هذا المعلم التاريخي ملك مغربي قام ببنائه بعد أن حاصر المدينة، حيث تتربع القلعة على مساحة أربع كيلومترات بها عشرون برج مراقبة، يبلغ سمكها من اثنين إلى ثلاثة أمتار، و ارتفاعها من عشرة إلى خمسة عشر مترا، أما مسجد المنصورة فلم تبق منه غير مئذنته البالغ ارتفاعها أربعون مترا

« à l'opposé, au nord-ouest sont les ruines colossales de Mansourah .Un roi du Maroc était venu assiéger Tlemcen… Les

[1] - Paul bourde ; à travers l'Algérie ; P344-345
[2]; ibid P345
[3]-ibid p345

restes d'une mosquée immense et d'un minaret de quarante mètres de haut en complètent l'effet grandiose »1

أما شرق تلمسان و على بعد واحد و عشرين كيلومتر نعثر على مدينة أقادير التي تعود إلى العهد الروماني، و يمكنك ملاحظة ملامح العصر الروماني من خلال الجدران المبنية بالحجارة هذه الأخيرة عليها كتابات رومانية ،ورغم قدمها إلا انه يمكنك قراءتها بكل بساطة، كما يشير إلى المغارات التي توجد غرب تلمسان و التي كانت حسب بول مقرا لأوائل السكان الذين عمروا المنطقة[2].

هذه الآثار توحي بمدى جمال المنطقة كما تبين عراقتها و أصالتها التاريخية.

بعد ذكر بول بورد لأهم المعالم الأثرية في المنطقة ينتقل للحديث عن الأضرحة في مدينة تلمسان ،ومنها ضريح سيدي يعقوب الذي يتميز بقبته ذات البياض الناصع مما أضفى جمالا على المكان، و يتناول بول أحد العادات المنتشرة في هذه المزارات و الأضرحة وهي اجتماع النساء و تبادل أطراف الحديث هناك.

« Jemettrais au premier rang la promenade qui conduit au marabout de Sidi-Yakoub… Quand nous le visitâmes, quelques femmes musulmanes y étaient assises et causaient »[3]

و يذكر بورد أن أعضاء الوفد حاولوا الدخول إلى داخل الضريح لكنهم وجدوا صعوبة في ذلك، لأن المشرف عليه منعهم على اعتبار أنه مكان طاهر، كما أن هذا المشرف يتكلم العربية فقط ،فلم يجدوا وسيلة للتواصل معه غير إعطائه مبلغ عشرين فرنكا لكنه رفض، ليتدخل أحد المرافقين و يخبره بأنهم بعثوا من طرف السلطات الفرنسية[4].

و يسرد بول بعضا من كرامات هذا الوالي حسب زعم أهل المنطقة، فهو يساعد النساء على الإنجاب، كما يشر إلى دوره في حل النزاعات و المشاكل العائلية، فكلّ من كان له مشكل عائلي يقصد هذا الضريح للتبرك به و دعوة الولي لحل تلك المشاكل، كما أن

[1] - Paul bourde ; à travers l'Algérie ;p346
[2] - ibid ;p347
[3] - ibid p348
[4] -ibid ;p349

الناس أصبحوا يقسمون به و يتخذونه سندا في أيمانهم، و يضرب مثالا لذلك بقصة الرجل الذي اتهم زوجته بالخيانة و طلب منها أن تحلف بسيدي يعقوب حتى يصدقها، ولم يصدقها إلا بعد أن أقسمت به.

« Un jour qu'il planait dans les airs, il entendit un mari reprocher à sa femme de l'avoir trompé… Par Sidi-Yacoub, je le jure »[1]

كما يشير إلى حوار دار بين هذا الولي الصالح و بين الله سبحانه و تعالى، فبعد تذمر سيدي يعقوب من تصرفات هؤلاء الأهالي، توجه إلى الله و أخبره بأنه بريء من تصرفاتهم و طلب من الله أن يغير موضعه، فأعطاه الله مهلة أربع و عشرين ساعة ليبحث عن مكان آخر يستقر فيه فإن انتهت المدة فإن الضريح سيقع في ذلك المكان الذي يكون فيه، ظل سيدي يعقوب يبحث من مكان إلى أخر دون جدوى، إلى أن مرّ على مكان سمع فيه حوارا بين زوجين و تبين له مدى تفاهمهما فقرر الاستقرار هناك، لكنه سرعان ما تفطن إلى أنه نفس المكان الذي انطلق منه

« Sidi-Yacoub. Et, dégoûté, il alla trouver Allah : Seigneur je ne puis pas rester plus longtemps dans un pays où j'ai couvert un parjure, permettez-moi de transporter mon marabout ailleurs… En effet, il se trouvait près de Tlemcen, exactement à l'endroit d'où il était parti le matin, et c'était le couple qui l'avait chassé qui l'avait aussi fait revenir. »[2]

نشير إلى أن ما أورده بورد في هذا المقطع من الرحلة يمكن إدراجه ضمن الرحلة الخيالية لأن الله سبحانه و تعالى لا يمكن أن يكلم أحدا.

ثم يذكر أن امرأة قدمت إلى سيدي يعقوب و أشعلت الشموع و البخور، و قدمت دجاجة كقربان لهذا الولي، و عند ذبحها قامت بالتفاعل معها، ولما سألت عن ما قامت به من تصرفات، قالت أن هذا يساعد في إبعاد العين و المس و يطرد الجن الذي يتربص بها[3].

1- Paul bourde ; à travers l'Algérie ; p 349-p 350
2 - ibid ; p350-p 351
3 -ibid ;p 352

المسجد الكبير:

هذا المسجد دليل على اهتمام الحضارات الماضية بفن العمران، حيث توجد به مدرسة قرآنية، و يتميز بوجود صومعة متفردة عن باقي المساجد أما محرابه فيتميز بزخرفة راقية كما أن بنايات الأحياء المجاورة له مهترئة و كذلك الطرقات التي يفترشها المتسولون:

"L'intérieur de Tlemcen contient quelques monuments qui ne sont pas indignes de ceux des environs. La grande mosquée est un peu banale, mais son mirhab, pour être assez sobre de décoration, n'en est pas moins charmant, et la Medreça qui l'avoisine est de beaucoup supérieure à celle de Bou-Médine qui est cependant fameuse[1]".

كما يعرج بورد على الشارع الرئيسي (شارع طريق معسكر) فهو شارع ينبض بالحيوية و النشاط التجاري حيث نجد فيه تبادل السلع بمختلف أنواعها:

"En revanche la grande rue de Mascara est très-vivante, elle est remplie de boutiques où les marchands indigènes vendent toute espèce de produits de l'industrie locale, des tapis, des nattes d'alfa, des bijoux, des poteries, des cuivres marocains et cent autres objets. Devant chaque étalage, toute la journée on voit des groupes qui causent ou qui marchandent, de sorte qu'on pourrait se croire au milieu d'une foire.[2]"

الطبيعة:

تتميز تلمسان بطبيعة خلابة، و هذا ما جعل منها أكثر المدن زيارة في إفريقيا، حيث نجد في الطريق من تلمسان إلى بلعباس شلالات الصفصاف و هي من أروع الشلالات، بالإضافة إلى وجود بعض الأودية و الجداول المملوءة بمياه الأمطار حيث أكسبت المكان

[1]- Paul bourde ; à travers l'Algérie ; p 352
[2]-ibid ;p353

جمالا جعل الناس يقصدونه لنتاول فطورهم و بعض الفاكهة من الأشجار المنتشرة هناك، كما أن هناك مغارات أهل الواد و التي تمتد إلى غاية سبدو و بها قاعات كبيرة حيث توجد في الولايات المتحدة الأمريكية مغارات تشبهها هي مغارات ماموت.

« Tlemcen parmi les villes les plus curieuses à visiter de l'Afrique… Une personne qui a parcouru à peu près le globe entier affi rmait qu'on ne peut leur comparer au monde que les fameuses grottes du Mammouth aux États-Unis. »[1]

الاقتصاد:

تعتبر منطقة تلمسان من أغنى المناطق بالفلاحة حيث وفرة الماء و كثرة أشجار الزيتون و الكروم و حقول القمح، إذ نجد 600 ألف هكتار يستغلها ما يقرب 50 ألف معمر، لكنها أهملت لعدم وجود الأمن خصوصا أنها تقع على الحدود و وسط تضاريس صعبة، حيث كانت هذه التضاريس ملاذا للثوار و هذا ما شكل خطرا على حياة المعمرين، لذلك ألقت فرنسا اللوم على حاكم المغرب و اتهم بالتقصير في توفير الحماية عبر الحدود، و بسبب كل هذا أصبح السكان المحليون ذوو الأصول التركية يعانون الاضطهاد من طرف المعمرين و كانت تلمسان آنذاك تتكون من 22 ألف ساكن يتوزعون كما يلي: 1313 فرنسي، 3012 يهودي، 13356 محلي، 2461 أجنبي[2].

نجد بول يتحدث عن مشروع السكة الحديدية حيث أولاه أهمية فقد كانت فكرة المشروع جديدة-في الجزائر- فباركها السكان ،و هذا لاعتقادهم أن فرنسا ستقوم بالمشروع لأجل النفع العام و لكن في حقيقة الأمر هي تقوم به خدمة لمصالحها و هذا اعتقادا منها بعدم مغادرة الجزائر، فالجزائر كانت منطقة عذراء لم تكتشف بعد[3]، ثم إن صعوبة نقل البضائع و السلع بين الشمال و الجنوب و وجود وسائل تقليدية للتنقل و المناخ الصحراوي الصعب كل ذلك حتّم إنشاء خط السكة الحديدية بين الجزائر و النيجر:

[1]- Paul bourde ; à travers l'Algérie ;p 353-p 354
[2] - ibid ;p355
[3] -ibid ;p357

"L'idée d'un chemin de fer qui franchirait le désert et relierait l'Algérie au bassin du Niger, émise il y a une vingtaine d'années par M. Mac-Carthy, reprise il y a quelque temps avec une conviction contagieuse par M. Paul Soleillet, étudiée avec soin par un ingénieur distingué, M. Duponchel, tantôt traitée de chimère et tournée en ridicule, tantôt défendue par les personnes les plus autorisées, a enfi n reçu une consécration officielle.[1]"

وفي سنة 1897 استدعي صاحب فكرة السكة الحديدية و المسؤول عن المشروع من طرف السيد ديبونشال رئيس اللجنة وهذا بغرض عرض فكرته أمام النواب، وقد لقي مشروعه معارضة، إلا أنه حاول إقناعهم وضرب مثالا بأمريكا فمن نيويورك إلى سان فرانسيسكو يوجد 6500 كلم بينما من الجزائر إلى تومبوكتو يوجد 2600 كلم فقط، و تساءل لماذا تنجح أمريكا ونفشل نحن، وقام بإعطاء عديد المزايا والخدمات التي يوفرها المشروع كتصدير الذهب والعاج بالإضافة إلى المواد الأولية كالزيوت الطبيعية ،حيث أن نقلها بتجسيد المشروع لا يستغرق زمنا طويلا عكس الماضي أين كانت الحمولة تستغرق من ثلاث إلى أربعة أشهر لتصل[2] .

بعد هذا التوضيح تشير اللجنة إلى جملة المعوقات التي يمكن أن تحول دون هذا المشروع ومنها الطبيعة الصحراوية القاسية، فانتشار الكثبان الرملية لن يكون بالأمر السهل وكذلك ندرة الماء وطبيعة المجتمع الصحراوي المحافظ والعواصف الرملية التي تميز المنطقة لكنه في رده عن هذه الانشغالات يعطي مثالا عن القوافل العربية التي استطاعت أن تتحدى هذه الصعاب في كل مرة، أما عن معارضة المجتمع الصحراوي فيقول أن عدد الطوارق يقدر بثلاثمائة ألف يعيشون على مساحة مائتي مليون هكتار وهذه المساحة تمثل

[1] - Paul bourde ; à travers l'Algérie ;p 385
[2] -- ibid ;P 359

أربع مرات مساحة فرنسا ،وهم يعيشون متفرقين لذلك لن يشكل هؤلاء عائقا لأن كل همهم هو تحصيل الرزق [1].

ثم تشير اللجنة إلى إمكانية التركيز على الجزائر فقط دون الحاجة إلى بقية الدول الإفريقية، فيجيب بأن الجزائر الآن في يدنا وعلينا إطلاق بصرنا إلى ما هو أبعد منها - في إشارة منه إلى إمكانية احتلال باقي الدول الإفريقية المجاورة للجزائر- وعلى الجزائر أن تلعب دور الوسيط بين أوربا وإفريقيا في نقل المواد الحيوية، وأشارت اللجنة إلى إمكانية اعتماد خط قسنطينة الجزائر بدلا من خط الساورة وهران تلمسان إلا أن الخط الأول يبلغ طوله 1494 كلم بينما الخط الثاني يبلغ 1310 كلم[2] .

ثم ذكر قضية الحدود مع المغرب فهي موثقة بموجب معاهدة 1845 بعد معركة إيزلي:

"Le traité franco-marocain, conclu en 1845, à la suite de la bataille d'Isly, fi xe la frontière des deux empires depuis la mer jusqu'à un point de la région des Hauts-Plateaux appelé Teniet-el-Saci[3]"

كما يثير قضية الضرائب التي تدفعها قبائل المغرب إلى الملك وحاول جعلها سببا في إشعال المواجهات حتى تتمكن فرنسا من التدخل، وتحدث عن المناوشات التي كانت مع المغرب خصوصا في أعوام 1856 ، 1859، 1870 مما أدى إلى قتل عدد من الجنود المغربيين فطالبت حكومة بلدهم بتعويض ممن فرنسا في حدود 16 أو 17 ألف فرنك لكل واحد، هذا ما جعل الحكومة الفرنسية تسخر من المغرب[4].

ثم يتطرق إلى عملية التصدير والاستيراد حيث أعطى بعض الإحصائيات وحاول إبراز قوة فرنسا في هذا المجال مقارنة بإنجلترا، لأن هذه الأخيرة كانت تعتبر هاجسا لفرنسا سواء من خلال توسعاتها الاستعمارية أو من خلال معاملاتها[5] .

---

[1]- Paul bourde ; à travers l'Algérie ; P361-p 362
[2] -ibid;P364
[3]-ibid ;p366
[4] -ibid ;P368
[5]-ibid ;P372

بعد وصفه لمدينة تلمسان وتطرقه إلى الوضع الاقتصادي والاجتماعي يذكر بورد أن الرحلة انتهت يوم 21 أكتوبر وهو تاريخ انطلاق الرحلة نحو الجزائر العاصمة ومنها إلى فرنسا، ويصف بورد هذه الرحلة بالناجحة حيث يقول:

"Le 21 octobre, la caravane parlementaire reprit au Tlelat le chemin de fer d'Oran à Alger. Son voyage était heureusement terminé, et, le 25, ceux de ses membres qui n'avaient pas préféré la route d'Espagne s'embarquaient pour Marseille à cinq heures du soir. Je crois pouvoir dire que tous étaient très-satisfaits, autant à cause de la haute opinion qu'ils emportaient de l'Algérie qu'à cause de l'accueil chaleureux qu'ils y avaient partout reçu. Comme j'attendais un autre départ afi n de jouir quelques jours de plus de l'ensorcellement d'Alger, nous allâmes au bateau, Lemay et moi, leur faire nos adieux que remplirent de cordialité les souvenirs d'un mois de vie commune dont, pour notre compte, nous n'avions eu qu'à nous louer.[1]"

[1] -Paul bourde ; à travers l'Algérie P377-p 378

** الخاتمة **

لقد تبين لنا من خلال الدراسة أن البحث في الرحلات بشكل عام يعدّ مجالا رحبا واسعا، يفتح للباحث آفاقا متعددة و مختلفة، لذلك شغل أدب الرحلة اهتمام الباحثين والمثقفين على حد سواء، فكانت الرحلة الوسيلة التي عبر بها الرّحالون عن تطلعاتهم و أفكارهم.

فالرحلة انطلاقا مما رصدناه من تعاريف فن متجذر في الآداب ، صاحبها عبر مختلف عصورها ، حيث استطاعت الرحلات بفضل القائمين بها أن تصبح مصدرا مهما للمعرفة، فهي ذات تنوع موضوعاتي جعلها منبعا مهما لاستقاء المعلومة الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، كما تحتوي على عديد الآثار الأدبية، وذلك لحرص الرحالة على تضمين رحلته مثل هذه الإبداعات، و الرحلة كفعل إنساني يكون الغرض منها الانتقال من الفضاء الضيق بما يحمله من معان ومقومات دلالية إلى فضاء أرحب وأوسع، ثم إنه بتعدد الرحلات يتعدد الرحالة على اختلاف الفترات الزمنية، وتتعدد الأغراض التي أنشأت لأجلها ويتبين ذلك من خلال التطور الذي مسّ الرحلة مما جعلها ذات قيمة أدبية وعلمية.

وأدب الرحلة فن مفتوح له قابلية احتضان جميع المعارف والعلوم والفنون، وهو أقدر الفنون على التعريف بالواقع ونقل صورته وصورة الواقع الذي ينتمي إليه،و نجده في بداياته عبارة عن وثيقة تاريخية وجغرافية، يهدف الرحالة من خلاله إلى البحث عن معلومات جغرافية وتاريخية عن تلك البلاد التي يقصدها، أي كان يطغى عليه الهدف العلمي، ثم بعدها تحول أدب الرحلة إلى وثيقة اجتماعية وثقافية يسعى فيها الرحالة إلى وصف ثقافات المجتمعات التي يزورها،و الأدب الفرنسي ثري بهذا الفن إذ يشهد على ذلك تعدد رحلات الفرنسيين خصوصا خلال القرن التاسع عشر ميلادي، حيث شكلت المستعمرات فضاء رحبا لمثل هذا النوع من الأدب مما زاد في نموه و تطوره.

لقد تعدد ذكر مدينة تلمسان وضواحيها في كتابات الرحالين، واتسم ذكرها في أغلب الأحيان بالطابع الإخباري والتسجيلي المعرّف بالجوانب الجغرافية والتاريخية للمنطقة، ويمكن أن تظهر للمتقدمين أنها غير ذات أهمية لكنها كانت تشكل في زمانها كبرى الأهمية بالنسبة للفرنسيين خاصة والأوربيين عامة، فهي مفيدة لمن كانوا يحملون مشاريع الإقامة في الجزائر مستقبلا أو للذين فكروا في رحلات نحو الجزائر.

وما أدرجه بول بورد في رحلته عن مدينة تلمسان ينمّ عن إلمام تام بكل معالم مدينة تلمسان، حيث تطرق إليها بالوصف الدقيق مع إعطاء ملاحظات وتوصيات عن كل منها، إلا أن الجانب الاجتماعي والاقتصادي أخذ حيزا كبيرا من هذه الرحلة، على اعتباره موفدا مع أعضاء البرلمان الذي جاء لاستطلاع أحوال المدينة و سكانها، و ليبرز الجهد الكبير المزعوم الذي تقوم به فرنسا في الجزائر من أجل النهوض بها، وقد كانت له انطباعات حميدة حول ما وفرته فرنسا في الجزائر وكذلك حول معاملة السكان الأصليين لهم.

** قائمة المصادر و المراجع **

-القرآن الكريم رواية حفص عن عاصم، مطبعة دار الفرقان دمشق، ط1،1425هـ.

المصادر:

1- أبو الحسن أحمد ابن فارس الرازي: مقاييس اللغة تح عبد السلام بن هارون ،دار الجيل ، بيروت،د.ط ،د.ت.
2- أبو الحسن ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح، طه الحاجري ومحمد زغلول سلامة، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة، د.ط، 1956.
3- أبو نصر الفرابي، كتاب الموسيقى الكبير تح غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة وتصدير محمود أحمد الخلفي، سلسلة تراثنا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة، د.ط، د.ت.
4- أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان م2، دار صادر للطباعة و النشر بيروت لبنان، ط2، د.ت.
5- أبو عبد الله الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، د.ط، 1985.
6- أبو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب، مطبعة دوسلان الجزائر،د.ط، 1965.
7- أبو عثمان الجاحظ البيان والتبيين،ج3، تح وشر:عبد السلام محمد هارون، سلسلة مكتبة الجاحظ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة، ط7، 1998.
8- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صاد، بيروت، ط1، 1990.
9- أبو القاسم النصيبي ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض، دار صادر بيروت لبنان، ط2، 1938.
10- أحمد بن أبي يعقوب، البلدان وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، دار الكتاب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1422هـ/2002م.
11- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج9، حققه إحسان عباس، دار صادر بيروت لبنان،د.ط، 1388هـ/1968م.
12- أحمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير ج1، دار الكتب العلمية بيروت، د.ط، 1398هـ.
13- زهير بن أبي سلمى: الديوان ، دار بيروت للطباعة والنشر ، لبنان ، د.ط ، 1982.
14- يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ت و تح و تع عبد الحميد حاجيات ج1، ش و للنشر و التوزيع الجزائر،د.ط، 1400هـ/1980م.
15- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: المحيط ج3 ، دار الجيل ، بيروت، ط3 ، د.ت.
16- محمد بن عبد الله ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ج1، تق محمد السويدي ، موفم للنشر ، الجزائر ، د.ط ، 1989.

17- محمد بن عبد المنعم الحميري، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت، د.ط، 1975.

18- محمد بن عثمان المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، تحقيق محمد علي الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، د.ط، 1965.

19- محمد السنوسي،الرحلة الحجازية ، تحقيق علي الشنوقي،الشركة التونسية للتوزيع ،د.ط ، 1976.

20- ميمون بن قيس بن جندل الأعشى: الديوان دار بيروت للطباعة والنشر بيروت، د.ط، د.ت.

21- عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني و مدرسة بيروت لبنان، د.ط، د.ت.

22- عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبرج7، ضبط المتن و وضع الحواشي و الفهارس الأستاذ خليل شحادة، مراجعة د.سهيل زكار ، دار الفكر بيروت لبنان،د.ط، 1421هـ/2000م.

23- عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف ابن خلدون و رحلته غربا و شرقا، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان، د.ط، د.ت.

24- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح كمال مصطفى، مكتبة الخانجي القاهرة، ط3، 1979.

25- الخطيب البغدادي،الرحلة في طلب الحديث، تح نور الدين عتر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1975م.

المراجع:

26- أبو حامد أحمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين ج2، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1986.

27- أبو محمد عبد الملك ابن هشام، السيرة النبوية ج2، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع الرياض، د.ط،د.ت.

28- أبو سليمان الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تح محمد خلف الله ومحمد زغلول سلامة، سلسلة ذخائر العرب: 16، دار المعارف القاهرة، ط2، 1968.

29- أبو العباس السلاوي، الاستقصاء لأخبار دولة المغرب الأقصى، اعتنى به محمد عثمان م1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2007.

30- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830) ج2، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 1998.

31- إبراهيم أحمد العدوي، ابن بطوطة في العالم الإسلامي ، دار المعارف ، مصر ، د.ط ، 1954.

32- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية مصر، ط4، 1425هـ/2004م.

33- أديب حرب، التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادرالجزائري1808-1847ج1، دار الرائد للكتاب الجزائر،ط3، د.ت.

34- أحمد بوغلا، الرحلة الأندلسية الأنواع والخصائص، دار أبي رقراق الرباط، ط1، 2008.

35- أسماء أبو بكر : ابن بطوطة الرجل و الرحلة ،دار الكتب العلمية ، بيروت،ط1،1992.

36- إسماعيل المولى،أدب الرحلة و التواصل الحضاري سلسلة الندوات،مطبعة فضالة المغرب،د.ط،1993.

37- إسماعيل العربي، دولة الأدارسة ملوك تلمسان و فاس و قرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط، 1983.

38- بطرس البستاني : دائرة المعارف مج8، مطبعة المعارف ، بيروت ، د.ط ، 1884.

39- زكي محمد حسين،الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي بيروت، د.ط،1981.

40- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، مطبعة الرسالة الكويت، د.ط، 1989.

41- حسين نصار : أدب الرحلة ، الشركة المصرية العالمية+ دار نوبار للطباعة ،روض الفرج ، شبرا القاهرة ، ط1 ، 1991.

42- حسن محمود عباس، حي بن يقضان وروبنسون كروزوي دراسة مقارنة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 1983.

43- حسني محمود حسين-أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ط2، 1973.

44- طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة العربية بيروت، د.ط، د.ت.

45- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ج1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،ط2، 1995.

46- مجدي وهبة،كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ،مكتبة لبنان بيروت،ط2، 1944-1984.

47- المهدي البوعبدلي و آخرون، مآثر تلمسان ماضيا و حاضرا،تح: محمد بوزواوي، القافلة للنشر و التوزيع الجزائر، د.ط، د.ت.

48- محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي :صحيح مسلم بشرح النووي ج17، المطبعة المصرية بالأزهر مصر، ط،13491 هـ/1930م.

49- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، تع: ممدوح حقي، دار اليقظة الغربية دمشق، ط2، 1964.

50- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط، 1995.

51- محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب سياسة الرومنة 146ق.م/40م، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،ط2، 1985.
52- محمد الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2007.
53- - محمد صبحي عبد الحكيم، دراسات في الجغرافية العامة، دار النهضة العربية، مطبعة جامعة القاهرة و الكتاب الجامعي، د.ط، 1980.
54- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب،د.ط، 1997.
55- مصطفى ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في عصري الموحدين و بني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط، 1982.
56- ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي(حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، دار النشر للجامعات مصر، د.ط ، د.ت.
57- نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، دار المأمون للنشر و التوزيع ، عمان ،ط1 ، 2008.
58- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الحطاب(دراسة في النقد العربي الحديث تحليل الخطاب الشعري والسردي) ج2، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، د.ط، 1997.
59- نقولا زيادة : الجغرافيا و الرحلات عند العرب ، الأهلية للنشر و التوزيع،بيروت،ط1، 1980.
60- سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، مكتبة غريب القاهرة، د.ط، د.ت.
61- سعيد بن سعيد العلوي: أوربا في مرآة الرحلة:صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب ،ط1،ص1995.
62- عبد الوهاب بن منصور، تلمسان تحليل لغوي و تاريخي للأسماء التي دعيت بها حاضرة المغرب الأوسط، مطبعة ابن خلدون تلمسان، د.ط، 1365هـ.
63- عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي،الرحلة في الإسلام، أنواعها و آدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1،1992.
64- عبد الله إبراهيم : صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2001.
65- عبد الله بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط، .1986
66- عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين بيروت، د.ط، 1983.

67- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، د.ط، 2002.
68- عبد المالك قجور، القصة ودلالاتها في رسالة الغفران وحي بن يقضان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، د.ط، 2010.
69- عبد الفتاح محمد وهيبة: مكانة الجغرافيا في الثقافة الإسلامية، دار الأحد، بيروت، د.ط، 1979.
70- عبد القادر بومعزة، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين ج1، دار بن زيد للطباعة و النشر، بسكرة الجزائر ، ط1، 2016.
71- عبد الرحيم المودّن : الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، دار السويدي للنشر و التوزيع ، ط1، 2006.
72- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ج1، دار الثقافة بيروت، ط4، 1980.
73- عبد الخليل فضيل و إبراهيم المشهداني، الفكر الجغرافي، دار الحكمة للطباعة و النشر، د.ط، 1990.
74- عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، د.ط، 1996.
75- علاء الدين مغلطاي ابن قليح بن عبد الله الحنفي، شرح سنن ابن ماجة ج1، مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة،د.ط، 1999.
76- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، الدار العربية للكتاب القاهرة، د.ط، د.ت.
77- صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال(المراحل الكبرى)، دار العلوم للنشر و التوزيع الجزائر، د.ط، 2005.
78- صلاح الدين الشامي، الفكر الجغرافي سيرة و مسيرة، دار المعارف للنشر الإسكندرية، د.ط، 1980.
79- صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي و الدراسة الميدانية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د.ط ، 1999.
80- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه و ثقافته، الشركة الوطنية للتوزيع و النشر الجزائر، د.ط، 1981.
81- شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، د.ت.
82- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي التجنيس آلية الكتابة خطاب المتخيل، دار رؤيا للنشر والتوزيع القاهرة، ط2، 2006.

الكتب المترجمة:

1--جورج مارسي،مدن الفن الشهير تلمسان تر سعيد دحماني،دار النشر التل البليدة، د.ط، 2004.

2-حسن بن محمد الفاسي الوزان، وصف إفريقيا تر محمد حجي و محمد الأخضر ج2، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط2، 1983.

3- كراتشوفسكي اغناطيوس يوليانوفيتش : تاريخ الأدب الجغرافي ، تر: صلاح الدين عثمان ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1987.

4- تزفيطان طودوروف، الشعرية،تر شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، سلسلة المعرفة الأدبية، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، ط1، 1987.

5- غي دي موباسان، رحلة إلى الجزائر، تر،نادية عمر صبري دار ورد للطباعة سوريا، ط1، 2007.

الكتب الأجنبية:

1- Jean déjeux « littérature maghrébine de langue française ;Ed ;naaman sherbrooke ;qué ;canada ;1973.

2- Joélle redouane « l'orient arabe vu par les voyageurs anglais » OPU ENL Alger 1988.

3--Paul bourde ; à travers l'Algérie souvenir de l'excursion parlementaire(septembre-octobre1879) G. charpontier ;éditeur 13 rue de gernelle-saint-germain ;1880.

المجلات و الدوريات:

1- - أحمد حسين عبد، الأوضاع الاجتماعية و الحضارية في القدس الشريف من خلال الرحالة العرب و الأجانب إبان النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي،مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية،م7،ع3،2012.

2- انجيل بطرس : الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال ع7 ، القاهرة ،1975.

3- وليام شالير، نبذة تاريخية عن دولة الجزائر، مجلة الأصالة ع14-15، تصدرها وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية الجزائر، 1973.

4- - حسين فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ع138، الكويت، يونيو 1989.

5- كارين صابر، دمشق في عيون الرحالة الفرنسيين، مجلة التراث العربي ع114، اتحاد كتاب العرب دمشق، جمادى الثانية1430هـ/حزيران2009م، السنة التاسعة و العشرون.
6- نادية محمود عبد الله، الرحلة بين الواقع و الخيال في أدب أندريه جيد، مجلة عالم الفكر ع4، 1983.
7- نبيل راغب، أدب الرحلات، مجلة الفيصل ع88، الرياض المملكة العربية السعودية، تموز"يوليو" 1984.
8- سميرة أنساعد : الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري في العهد العثماني ،مجلة التراث العربي : مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،س24 ، آذار 2005.
9- سيد حامد النساج، أدب الرحلات في حياتنا الثقافية ، مجلة العربي ، الكويت، يناير 1987.
10- عبد الرحيم المودن، رحلة أدبية أم أدب الرحلة،مجلة فكر و نقد ع20، يونيو 1999.

المذكرات:

1- وهيبة نسرين عبدلي، الشعر الشعبي بمنطقة تلمسان الحوفي نموذجا جمع و دراسة، رسالة ماجستير ، جامعة تلمسان، سنة 2006-2007.
2- حافظ محمد بادشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي أطروحة دكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد،2013.
3- الطاهر حسيني : الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناؤها الفني أنواعها خصائصها ، أطروحة دكتوراه ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة-الجزائر- ، 2014/2013.
4- ياسمين شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري نماذج من رحلات القرن العشرين، مذكرة ماجستير، 2013/2012.
5- لبنى لونانسة، النقد التطبيقي في الرحلات المغربية في القرنين 7و 8هـ، مذكرة ماجستير جامعة باتنة،2014/2013.
6- سمير بن نابت، مفهوم الأدبية في النقد المغربي القديم، مذكرة ماجستير تخصص الشعرية العربية، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة سنة 2012.
7- عبد الحفيظ بورايو، قسنطينة في أدب الرحلات ، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة،2008/2007.
8- عيسى بخيتي ، جمالية المشهد في أدب الرحلة الجزائري الحديث ، مذكرة ماجستير ، إشراف محمد مرتاض ، جامعة تلمسان ، 2011 .
9- فريدة قدور، مساهمة الحلي التقليدية في التنمية بمنطقة تلمسان رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، سنة 2011-2012.

المواقع

1- عبد الرحيم المودن، رحلة أدبية أم أدب الرحلة،مجلة فكر و نقد ع20، يونيو1999
www.aljabriabed.net/n20_09mudan

2- سميرة أنساعد،صورة الأنديجان في الرحلات الفرنسية أثناء القرن التاسع عشر ميلادي، مداخلة بملتقى الثورة التحريرية بجامعة سكيكدة، نقلا عن:
www.univskikda.dz/revolution/index.php?option=com_content&view=article&id=17:2011-09-22-07-19-41&catid=30

3- www.memoireafriquedunord.net

** الفهرس **

الفهرس